سلسلة دراسات فى علم الكلام :
(٢)

شخصيات وقضايا فلسفية وكلامية

(نماذج من السُنة والشيعة)

دكتور
صابر عبده أبا زيد
استاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف
عميد كلية الآداب بأسوان الأسبق

٢٠٢١ – ٢٠٢٢

القسم : الفلسفة

الفرقة الدراسية : الفرقة الثانية

اسم المادة : علم الكلام الإسلامي

عدد الساعات : ٤ ساعات

****

القسم : اللغات الشرقية – شعبى فارسي

الفرقة الدراسية : الفرقة الثالثة

اسم المادة : فرق ومذاهب إسلامية

عدد الساعات : ٤ ساعات

" مفتتح " ...

.. هذا هو الكتاب الثانى فى " سلسلة دراسات الفكر الفلسفى الإسلامى" بما فيه من فلسفة إسلامية وعلم كلام وتصوف إسلامى وقضايا فى التوحيد والصفات والإمامة والميعاد وما أشتمل فيه من جليل الكلام ودقيقه وعلم الأصول وموضوعاته .

وإذا كنا فى الكتاب الأول قد أوضحنا ماهية علم الكلام ونشأته ومدراسه وفرقه المختلفة ، فإننا فى هذا الجزء سنقف على نماذج من الفرق الكلامية الإسلامية من خلال نماذج ممثلة من سُنة وشيعة من أهم الشخصيات التى لعبت دوراً هاماً فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى دون تعصب ولا تطرف لجهة من الجهات أو لفرقة من الفرق أو لشخصية من الشخصيات ولكنا أخذنا بالوسطية الإسلامية السمحة مع إلقاء الضوء على أهم القضايا الحساسة التى بدأت من القرن الرابع الهجرى ومستمرة حتى يومنا هذا بكل ما فيها من زخم فكرى وحركات علمية وحضارية نحن فى أشد الحاجة إليها فى عصرنا الحاضر.

والكتاب الذى بين أيدينا اليوم يشتمل على أربعة فصول بالإضافة إلى المقدمة العامة والخاتمة ، وذلك على النحو التالى :-

✍ **مقدمة عامة** : فى الموضوع .. فى المنهج ..

✍ **الفصل الأول** : الشيخ المفيد بن النعمان وأراؤه الكلامية والفلسفية.

✍ **الفصل الثانى:** العلاَّمة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ بين علم الأصول وعلم الكلام.

✍ **الفصل الثالث:** تقى الدين المقريزى وموقفه من قضايا علم الكلام .

✍ **الفصل الرابع:** الشيخ الإمام محمد عبده وآراؤه الكلامية

الخاتمة وأهم النتائج

أهم المصادر والمراجع

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد

والحمد الله رب العالمين ؛؛؛

إسكندرية فى : ٢٠٠٧/١١/١٥ ***د. صابر أبا زيد***

الفصل الأول

الشيخ المفيد بن النعمان

وآراؤه الكلامية والفلسفية

.. **ويتضمن هذا الفصل أهم العناصر الآتية** :

تمهيد : ١- فى الموضوع

٢- فى المنهج

أولاً : الشيخ المفيد ٠٠ حياته وعصره ومؤلفاته .

ثانياً : آراء المفيد الكلامية والفلسفية .

المبحث الأول : فى جليل الكلام (الإلهيات) .

والقانون الثانى : فى دقيق الكلام (الطبيعيات) .

تمهيد

١- في الموضوع :

لقد كان القرن الرابع الهجرى من القرون التى ازدهرت فيها الحركة العلمية والحضارة الإسلامية ففى عام ٣٣٣هـ يدخل سيف الدولة الحمدانى بغداد وينشئ بها جامعة عريقة ، وفى عام ٣٦٢هـ أنشأ المعز لدين الله الفاطمى الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة لدراسة الفقه الشيعى والمذاهب الفاطمية ، وفى عام ٣٦٤هـ أنشأ عضد الدولة البويهى جامعة أخرى فى بغداد .. إلخ. ففى مراحل قريبة من هذا الزمن ازدهرت الحركة العلمية فى بقاع مختلفة من العالم الإسلامى يوم ذاك.

ومن هنا يعد القرن الرابع الهجرى بالإجماع قرن انبعاث الحضارة الإسلامية حضارة العلم والفكر ، حضارة الكتاب والقلم والمدرسة ، حضارة الأدب العربى (شعراً ونثراً وحكمةً) ، وظهر أفذاذ العلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة وعلماء الكلام والصوفية .. إلخ. وفى ظل هذه الحركات العلمية وفى هذا الجو الملائم نشأ الشيخ المفيد بن النعمان ، وقد كان المؤسس الأول لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى ثوبها الجديد لأن الجهود قبله كانت جهوداً فردية ، ولكن فيما بعد تبلورت عقائد الشيعة الإمامية وتطور الفكر الشيعى فى أكمل صوره.

وإذا كان عصر الرسول الكريم(ﷺ) يمثل المرحلة الروحية ، فإن المرحلة السياسية تبدأ من مقتل الإمام علىَّ (٤٠هـ) ، ويورد لنا الموسوى[١] مراحل التشيع كما قسمها المؤرخون إلى ثلاثة أدوار :-

الدورالأول: يبدأ بوفاة الرسول (ﷺ) وينتهى بانتهاء العصر الأموى.

الدورالثانى: يبدأ من عهد الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ) الإمام السادس لدى الشيعة الإثنى عشرية – أى أول العهد العباسى وحتى عصر الشيخ المفيد بن النعمان وهو دور الحضارة والحركة الفكرية لمذهب التشيع.

الدورالثالث: يبدأ بالشيخ المفيد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) وينتهى بالعلاَّمة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ (ت ٧٢٦هـ) الذى وضع أجوبة رد الشبهات ونقضها ، ورد العاديات على المذهب الشيعى .

تلك وجهة نظر مؤرخ إمامى شيعى ، وإذا أردنا أن نعرض لوجهة نظر أخرى معارضة فنجد أنه فى الوقت الذى يقدم لنا ابن تيمية العالم السلفى – نصاً من أهم النصوص التى تثبت تمام الإثبات أن مُتكلمى الشيعة الأوائل كانوا

---

[1] السيد عبد الرسول الموسوى : الشيعة فى التاريخ– مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢م – ص٥٠ وما بعدها ، انظر أيضاً بخصوص الحقب الأربعة لتطور التشيع ومناهل تراث الإمامية الإثنى عشرية ، وكيف أن هنرى كوربان يعتبر الشيخ المفيد من رجال الحقبة الثانية من تاريخ الغيبة حتى عصر الطوسى (من ٣٢٩هـ–٦٧٢هـ) – تاريخ الفلسفة الإسلامية – ترجمة نصير مروة وحسن قبيسى – منشورات عويدات – بيروت / باريس – الطبعة الثالثة – ١٩٨٣م – ص٧٧ وما بعدها.

مجسمة(مثل المدرسة الهشامية) نجدهم يزيدون فى إثبات الصفات على مذهب أهل السُنة والجماعة فلا يقنعون بما يقوله أهل السُنة والجماعة من أن القرآن غير مخلوق وأن الله يُرى فى الآخرة وغير ذلك من آراء أهل السُنة والحديث حتى نجدهم (أى الشيعة الأوائل) يبتدعون فى الغلو فى الإثبات والتجسيم ، والتبعيض والتمثيل ، ماهو معروف من مقالاتهم التى ذكرها الناس ، ولكن فى أواخر القرن الثالث الهجرى دخل من دخل من الشيعة فى أقوال المعتزلة كابن النوبختى وأمثاله ، وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان وأتباعه[١] ، وهذا يثبت أن شيوخ الرافضة المتأخرين كما كان يطلق عليهم أو الإمامية كالمفيد والموسوى والطوسى والكراجلى وغيرهم إنما أخذوا مسائل كلامية كثيرة من المعتزلة ، وأن هناك آراء كلامية اعتزالية واضحة تبناها مجتهدو الشيعة المتأخرون حين وجدت المعتزلة ملجأ فى الشيعة ، وبعد أن أنزل علماء الأشاعرة الضربات الساحقة بهم[٢]. ولقد صاغ مجتهدو الشيعة الإثنى عشرية وهى من الفرق المعتدلة – أصولهم فى أربعة : التوحيد – العدل – النبوة – الإمامة ، وفى أصلى التوحيد والعدل لجأ الشيعة المعتزلة واعتنقوا المذهب المعتزلى كاملاً إلاَّ فى بعض المسائل أو بمعنى آخر كما يقرر د. النشار – لجأ المعتزلة إلى الشيعة بعد أن نزلت بهم ضربات أهل السُنة والجماعة ، واختلطت عقائدهم بعقائد الشيعة

---

(1) ابن تيمية : منهاج السُنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية – المطبعة الأميرية بمصر – الطبعة الأولى – أربعة أجزاء بتحقيق د. محمد رشاد سالم – ١٩٦٤م – ج١ – ص ٤٥/٤٧.

(2) د. على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعارف – مصر – ج٢ – إسكندرية – الطبعة الثالثة – ١٩٦٥م – ص ٢١٦.

الإمامية الإثنى عشرية[1] وخصوصاً عند المفيد بن النعمان وأتباعه وصولاً إلى ابن المطهر الحلىَّ وتلاميذه ، كما اختلطت من قبل بعقائد الشيعة الزيدية ، ويمكن لنا أن نبرر علة ذلك الامتزاح والاختلاط الشيعى لمذهب الاعتزال فى أن المذهب المعتزلى عاش فى رحاب العباسيين ، وكان عقيدة الدولة العباسية إجمالاً اللهم إلاَّ المتوكل (الخليفة العباسى الذى أنتهت فى عصره مشكلة أو محنة خلق القرآن) ، كما كان المذهب الجبرى عقيدة الدولة الأموية من قبل اللهَّم إلاَّ يزيد ابن الوليد المعروف بيزيد الناقص ، أما أئمة البيت الكبار وبالأخص محمد الباقر وجعفر الصادق فقد كانا من رواد المذهب السُنى ولهما نفس القدر والمكانة لدى أهل السُنة والشيعة وإن جعفراً الصادق خصوصاً كان أقرب فى عقائده الكلامية إلى عقيدة الأشاعرة ، وهناك من العلماء من وافق على التعبد بالمذهب الجعفرى مثله مثل أى مذهب من المذاهب الأربعة المعروفة لدى أهل السُنة والجماعة ، ويمكن لنا تحديد العقائد الشيعية الإمامية /المعتزلية وتطورها فى المراحل الخمسة التالية :-

<u>المرحلة الأولى</u>: عقائد سلفية قديمة على يد عالم السلف الإسلامى الكبير الإمام على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) صاحب نهج البلاغة وحفيديه على زين العابدين ومحمد الباقر الذى كان له آراء كلامية فى القدر والتوحيد.

---

[1] المرجع السابق – ج٢ – ص ٢٩١.

المرحلـة الثانيـة: عقائد كلامية عقلية تتوسط المذاهب ، وهى أقرب إلى آراء وعقائد الأشاعرة على يد الإمام السادس جعفر الصادق رائد أهل السُنة والجماعة والشيعة أيضاً.

المرحلة الثالثة: عقائد مجسمة على يد تلاميذ الإمام الصادق من أمثال هشام إبن الحكم وهشام بن سالم الجواليقى ومؤمن الطاق [1]. وانتشر التشبيه والتجسيم فى تلك الفترة ، وظهر كتاب الانتصار المعتزلى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى للمؤرخ ابن الراوندى (المُلحد) ، يؤرخ لنا تلك المرحلة الشيعية المجسمة ، ولقد كان هشام بن الحكم عدواً للمعتزلة ، وبالأخص أبى الهذيل العلاف.

---

[1] المرجع السابق:ج٢– ص٢٩٢، ويذكر الشيخ المفيد بن النعمان فى أوائل المقالات ان هشاماً نشأ أولاً فى الكوفة جهمياً فتابع آراء جهم بن صفوان وهو من أبرز ممثلى مدرسة الصادق الكلامية(ت١٣٥هـ) – راجع ص٣٧–٣٨ . ومن العجيب ان الشيخ المفيد بن النعمان لم يفهم فكر هشام بن الحكم ولم ينفذ إلى أعماق مذهبه المتكامل بل راح تحت تأثير معتزلى يحاول تبرئة هشام من القول بالجسمية . فقال فى نص هام فى أوائل المقالات : " لم أقف على وجه مخالفته لسائر الشيعة الإمامية فى باب أسماء الله الحسنى إلاَّ ما نسب إليه من إطلاق لفظة – انه جسم لا كالاجسام ، والذى حُكى رجوعه عنه " وهذا خطأ ولم يجانب الشيخ المفيد الصواب فيه ، لأن هشاماً لم يرجع عن مذهبه الجسمى – راجع الشيخ المفيد : أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات – تقديم وتعليق الشيخ فضل الله الزنجانى ويليها رسالة شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الإعتقاد – مقدمة السيد هبة الله الشهرستانى – مكتبة سروسن – تبريز طهران – إيران – مطبعة الرضائى – الطبعة الأولى – سنة ١٣٦٣هـ – ص٥٦/٥٧.

المرحلة الرابعة : عقائد تمثل المرحلة المعتزلية وخاصة أصلى التوحيد والعدل وامتزاجها فى عقائد الشيعة الإمامية من خلال ظهور كتاب أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات للشيخ المفيد بن النعمان (ت ٤١٣هـ).

وهذه المرحلة تمثل أيضا تكوين العقائد الشيعية الإثنى عشرية ، وتابع الشيخ المفيد مشيخة من أعلام المذهب الشيعى كالشريف الرضى والمرتضى والطوسى وغيرهم .

المرحلة الخامسة :عقائد أحد تلاميذ المفيد والطوسى فى عصر متأخر وهو العلاَّمة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ (ت ٧٢٦هـ) ، وقد فصل عقائد الإمامية فى نص من أهم النصوص الإمامية فى الكلام : " ذهبت الإمامية الإثنى عشرية إلى أن الله تعالى عدل حكيم لايفعل قبيحاً ولايخل بواجب وإن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وأنه تعالى لايفعل الظلم ولا العبث وأنه رءوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأنفع وأنه تعالى كلفهم تخييراً لا إجباراً ووعدهم الثواب وتوعدهم العقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين بحيث لايجوز عليهم الخطأ والنسيان ولا المعاصى.. "[١].

---

[1] ابن المطهر الحلىَّ : منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة – ص٧٥ – على هامش منهاج السُنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية – مرجع سابق – ج١ – ص٣٠/٣١.

وكذا من خلال مؤلفاته العديدة المخطوطة والمطبوعة من أمثلة.. نهاية الوصول إلى علم الأصول وكشف الحق ونهج الصدق ومنهاج الكرامة وكشف المراد والألفين الفارق ...إلخ .وهو يعد من أكبر متكلمى الشيعة الإمامية فى فترة متأخرة ، وكان له دور بارز فى بلورة عقيدتهم بصفة عامة ، وما يتصل بالإلهيات والإمامة وأصول الفقه بصفة خاصة[1].

المهم فى الأمر أن هذا التطور لهو دليل على حيوية المذهب ومرونته وقبوله للتطور العقلى المستمر ، ويؤكد لنا امتزاج أقوال الأئمة من الشيعة الإمامية بكلام معتزلى كما سنرى عند الشيخ المفيد بن النعمان أستاذ العلاَّمة الحلىَّ الذى لعب دوراً هاماً فى تشكيل المرحلة المعتزلية فى العقائد الشيعية أو تكوين الاعتزال المتشيع.

٢- <u>فى المنهج</u>

يدور موضوع الفصل كما أسلفنا حول الشيخ المفيد بن النعمان وآرائه الكلامية والفلسفية من خلال عرض **<u>تحليلى نقدى مقارن</u>** لأهم المسائل الاعتقادية فى أبواب التوحيد والعدل والصفات واللطف الإلهى والصلاح والأصلح والنبوة والمسائل المتعلقة بها والإمامة وما يتفرع منها مثل أفكار الرجعة والبداء والتقية والعصمة ، والقول فى القرآن الكريم وجهة الإعجاز والتأليف ، وما قيل عن التحريف والزيادة والنقصان ومسألة الأخرويات والمعاد وأبواب الوعد

---

[1] قام المؤلف بتقديم دراسة متواضعة عن العلاَّمة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ – بين علم الأصول وعلم الكلام – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الطبعة الأولى – إسكندرية – ٢٠٠٢م ، انظر ص٩ وما بعدها.

والوعيد .. إلخ وهذه الدراسة تعد أول دراسة خاصة للشيخ المفيد بن النعمان ممثل الشيعة الإثنى عشرية من وجهة نظر سُنية.

وسوف أقسم الفصل منهجياً إلى مبحثين أساسيين :-

المبحث الأول : سيكون عن جليل الكلام وأهم العناصر التى تتفرع عنها من أمثلة : القول فى التوحيد والصفات – والعقل عند المفيد بن النعمان والقول فى كلام الله تعالى والقول فى الإرادة وأفعال العباد والعدل وحسن الأفعال وقبحها مقارنة بين الفرق الإسلامية من معتزلة وأشاعرة وأهل سُنة ، والقول فى الرؤية وطبقات أحكام المكلفين وحقيقة التوبة عند الشيخ المفيد ، والقول فى الشفاعة والموافاة والإمامة والعقائد التابعة لها لدى الإمامية بصفة عامة وعند المفيد بصفة خاصة من أمثلة عصمة الإمام والأئمة والبداء والتقية والرجعة والأخرويات .. إلخ.

المبحث الثانى: سيكون عن لطيف الكلام وأهم العناصر التى تتفرع عنها من أمثلة : الجواهر والأعراض وما يتفرع عنها من الأجسام وغير ذلك من المسائل اللطيفة ، أو ما يسميها المتكلمون الطبيعيات وكذا فى ماهية العالم (حركة الفلك – الخلاء والملاء – المكان والزمان – الطبائع – التوليد فى الطبائع وأنواع المتولدات من الأفعال .. إلخ) .

وقبل هذا وذاك سنعرض بإيجاز لحياته وعصره وأهم مؤلفاته لما لها من أهمية فى الدراسة ، ثم نعرض فى النهاية للخاتمة وأهم نتائج البحث مع إيراد قائمة بأهم المصادر والمراجع ، ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

أولاً: حياته وعصره ومؤلفاته :-

عاش الشيخ المفيد بن النعمان فى عصر مزدهر من جميع النواحى الثقافية والفكرية والحضارية مبلوراً أفكار وآراء الفرق الإسلامية واختلافهم فى الرؤى والمنهج وغير ذلك.

والشيخ المفيد هو محمد بن محمد بن النعمان بن سعيد بن جُبير يصل نسبة إلى يعرب بن قحطان[١] ، ويُكنى بـ (أبى عبد الله) ويُعرف بابن المعلم[٢] ، ويُطلق عليه الشيخ المفيد ، وقد علق الشيخ أغابزرك الطهرانى بالقول : هو الشيخ السعيد أبو عبد الله المفيد الشهير فى أوائل أمره بـ (ابن المعلم) كان أبوه مُعلماً بواسط ، أما ألقابه فكان بعضها نسبى وبعضها سكنى وبعضها علمى ، فما أشتهر منها:العُكبرى والبغدادى والحارث ولكن الشهرة العلمية هى (المفيد)[٣] ، ويرى البعض أن الإمام الحجة المهدى (عليه السلام) هو الذى لقبه بهذا اللقب . كما جاء فى رسائله الشريفة الثلاث التى كتبها البطريق الحلىَّ ، وكان نسخة عنوان الكتاب إليه ".. لـلأخ السيد والولى الرشيد والشيخ المفيد"[١] ،

---

(1) النجاشى (أحمد بن على) رجال النجاشى – طبعة قم – إيران – ١٣٨٠هـ – ص٣١١.

(2) الشيخ الطوسى (محمد بن الحسن) : الفهرست – طبعة النجف الأشرف– بغداد – ١٩٣٧م – ص١٥٨/١٥٧، انظر أيضاً : الموسوى : الشيعة فى التاريخ – مرجع سابق – ص ٣٠٣ وما بعدها.

(3) الشيخ أغابرزك الطهرانى : النابس فى أعلام القرن الخامس – سلسلة طبقات أعلام الشيعة – طبعة طهران – ١٩٥٩م – ص ١٨٦ وما بعدها

(1) ابن شهرآشوب (محمد بن على) : الرسائل الثلاث ومناقب آل أبى طالب – ٣ أجزاء – طبعة النجف – ١٩٥٦م– ج١ – ص ١٢٠.

ويقولون عنه إن غائبهم المزعوم هو الذى لقبه به (أى المفيد)[٢] ، وإليه انتهت رياسة الإمامية فى وقته[٣] ويذكر صاحب مقدمة الإرشاد للمفيد أنه كان له لقاءات مع غائبهم الموهوم[٤] !! ونحن نشك فى ذلك ؛ لأنه لايعقل ولا يستقيم الأمر فى أن الغائب المزعوم (المهدى المنتظر) الذى اختفى عام ٢٥٨هـ الغيبة الكبرى يلتقى مع المفيد الذى ولد عام ٣٣٦هـ ، وقيل إن المفيد ولد عام ٣٣٨هـ بقرية تدعى (سويقة ابن البصرى) التى تتفرع عن عُكبرى شمالى بغداد فى ١١ ذى القعدة وتوفى عام ٤١٣هـ[٥] بإجماع المؤرخين والعلماء كما روى أن الشيخ المفيد كان من أهل عُكبر ثم إنحدر – وهو صبى – مع أبيه إلى بغداد واشتغل بالقراءة على الشيخ أبى عبد الله المعروف بـ (جُعل) وكان منزله فى (درب رياح) ببغداد ، وبعد ذلك اشتغل بالدرس عند أبى ياسر فى باب خراسان من البلدة المذكورة ، ومن أساتذة المفيد أيضاً نجد ابن بابويه القمى وآل نوبخت – ويذكرهم كثيراً فى أوائل المقالات – والشيخ

---

(2) إحسان إلهى ظهير : بين الشيعة وأهل السُنة – إدارة ترجمان السُنة – لاهور – باكستان – الطبعة الأولى – ١٩٨٥م – ص٣٠ – نقلاً عن معالم العلماء لابن شهر آشوب – ص١٠١ – طبعة إيران – ١٩٦١م ، وكتاب ظهير السُنى فى الرد على د. على عبد الواحد وافى فى كتابه بين الشيعة والسُنة بنفس العنوان وقد تحامل عليه كثيراً.

(3) الخوانسارى (محمد باقر) : روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات – ٤ج – طبعة إيران – ١٣٦٧هـ – إيران – ص ١٥٣ ، وطبعة أخرى – أصفهان – ١٣٨٢هـ.

(4) المفيد بن النعمان : الإرشاد فى تاريخ حجج الله على العباد – طبعة حجرية – إيران – ب.ت – ص٤ (المقدمة).

(5) ابن النديم (محمد بن إسحاق) : الفهرست – طبعة القاهرة – ١٣٤٨هـ – ص١٩٧ – فيكون عمره ٧٥ سنة أو عام ٣٣٦هـ فيكون عمره ٧٧ سنة ، كما جاء فى رجال النجاشى.

الصدوق وابن وليد القمى فأبا غالب الزرارى فأبا على الصولى البصرى وعلى بن عيسى الرمانى[١] .. إلخ ، ومن تلاميذه السيد مرتضى (علم الهدى) والسيد الرضى والشيخ الطوسى (شيخ الطائفة) والنجاشى الذى ذكره فى فهرسته حيث قال : " شيخنا وأستاذنا رضى الله عنه فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه والكلام والرواية والعلم "[٢]. كما ذكره تلميذه الآخر وهو الشيخ الطوسى فى فهرسته قائلاً: " .. من جُلة متكلمى الإمامية انتهت إليه رئاسة الإمامية فى وقته "[٣] ، وقد ذكره العديد من أصحاب كُتب التراجم والرجال والطبقات والفهارس بالإطراء والتبجيل من الموافق والمخالف حتى قال عنه العالم السُنى المعاصر إحسان إلهى ظهير بأنه المؤرخ الشيعى الكبير الذى كتب فى ذكر الأئمة الإمامية[٤]. ويصفه الموسوى الشيعى بأنه كان من النابغين الذين دون اسمهم فى سجل الخالدين بحروف ضخمة بارزة[٥]. وعده آية الله السيد حسن الصدر من أعلام الإمامية الذين تقدموا فى علوم القرآن ، كما عده من أساطين علم أصول الفقه وصنف فى كل العلوم الإسلامية وأخرج فهرس كتبه تلميذه ابو العباس النجاشى ، أما فى علم الكلام فهو مقدم فى صناعة الكلام على مذهب أصحابه دقيق الفطنة ماضى الخاطر شاهدته فرأيته بارعاً

---

(1) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات ... مرجع سابق – ص ١–٢٩ (مقدمة عن حياته وعصره للشيخ فضل الله الزنجانى ويُعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات الشيخ المفيد فى علم الكلام).

(2) النجاشى : رجال النجاشى – مرجع سابق – ص ٣١٥.

(3) الطوسى : الفهرست – مرجع سابق – ص ١٥٨ ، انظر أيضاً : الموسوى الشيعة فى التاريخ – مرجع سابق – ص ٣٠٢ وما بعدها.

(4) إحسان إلهى ظهير : بين الشيعة وأهل السُنة – مرجع سابق – ص ٣٢.

(5) السيد عبد الرسول الموسوى : الشيعة فى التاريخ – مرجع سابق – ص٣٠٣.

وله كتب كثيرة وفيه حسن المحاضرة ، وكان صاحب كرسى يزوره عضد الدولة بداره ، ولما مات صلى عليه بميدان الأشتان وصلى عليه ثمانون ألف من الرافضة[1] ، ومن طريف ما جاء فى ترجمته قول بعضهم إنه كان من أحرص الناس على التعليم ، وكان يدور على المكاتب وحوانيت الكتب ، ومن هنا كان صاحب التصانيف الكثيرة والطابع العام على مؤلفاته التى تجاوزت المئتين – علم الكلام فيقرب ما صنفه فى الكلام من تسعين كتاباً أكثرها فى الإمامة ، ولعل الوقت الذى عاشه المفيد فى بغداد ووجود المدارس العقائدية الكلامية المختلفة والفرق المتناحرة فى عصره جعلته يركز على هذا الجانب فى تصانيفه ومع ذلك صنف فى علم التاريخ أربعة كتب أساسية فى التطور التاريخى للفكر الشيعى الإمامى وهى : الإرشاد والجُمل والتواريخ الشرعية والمعراج ، كما صنف فى أصول الفقه ما يقرب من واحد وأربعين كتاباً أهمها كتاب المقنعة[*] الذى جعله الشيخ الطوسى متناً لكتابه المعدود من الأصول الأربعة فى الحديث لدى الإمامية وهو التهذيب بالإضافة إلى الاستبصار وما لايحضره الفقيه والكافى للكلينى . أما أهم كتاب فى العقائد فهو أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات والاختصاص والأركان فى دعائم الدين والإيضاح فى الإمامة والمسائل العشر فى الغيبة[1]. وأورد لنا الإمام الصدر أسماء تصانيف للمفيد نذكر منها رسالة

---

[1] آية الله حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام – طبع شركة النشر والطباعة العراقية – الكاظمية – الطبعة الأولى – ١٩٥١م – ص٣١٢.

[*] وقد قام بتحقيق هذا الكتاب جماعة المدرسيَّين فى الحوزة العلمية بقم – إيران – مؤسسة النشر الإسلامية ١٤١٠هـ (ويتكون من ٨٦٨ صفحة).

[1] ابن النديم : الفهرست – مرجع سابق – ص ٢٠١ وما بعدها .

إلى ولده فى الفقه – النقض على ابن عباد فى الإمامة – كتاب الإفصاح – النقض على علىَّ بن عيسى الرمانى فى الإمامة – كتاب النقض على ابن قتيبة فى الخطابة والمحكى وكتاب أحكام أهل الجمل – والمنير فى الإمامة – وكُتب المسائل منها المسائل الصاغائية(**) والمسائل السروية والمسائل الكعبرية والمسائل الجرجانية والمسائل الدنيورية وكتاب الفصول من العيون والمحاسن والرسائل العددية والإعلام فيما اتفق عليه الإمامية من الأحكام والأشراف فى عامة فرائض أهل الإسلام وتحريم ذبائح أهل الكتاب[٢] .. إلخ وكذا كتاب الأمالى(***) على غرار آمالى المرتضى . وقد ذكر الموسوى أن من ضمن أعمال المفيد كتاب بعنوان : الكافئة فى إبطال توبة الخاطئة ، والمسح على الرجلين فى أصول الفقه[٣] ، بالإضافة إلى اهتمام الشيخ المفيد بالقرآن الكريم فقد كتب فيه سبع كُتب هى : تفسير إمامة أمير المؤمنين من القرآن ، والبيان فى تأليف القرآن ، والبيان فى علوم القرآن ، والكلام فى أوائل القرآن والكلام فى حديث القرآن ، والكلام فى وجوه إعجاز القرآن ، والنصرة فى فضل القرآن مما يدل على أنه من علماء الامامية الذين يعترفون بصحة القرآن الكريم المُنزل من عند الله بدون تحريف ولانقصان كما سنرى.

(**) وهو بتحقيق السيد/ محمد القاضى – قم – إيران – المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد – ١٤١٣هـ.

(2) آية الله السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام – ص ٣٨٢ وما بعدها.

(***) آمالى الشيخ المفيد : منشورات المطبعة الحيدرية – بالنجف الأشرف – العراق – طبعة أولى – ب.ت وقد أورد لنا فيه كلام الإمام الرضا (الإمام الثامن) عن التوحيد بأسلوب شيق– راجع ص ١٤٩/١٥٠.

(3) السيد عبد الرسول الموسوى : الشيعة فى التاريخ – مرجع سابق – ص ٣٧٢ وما بعدها.

خلاصة القول أنه كُتب حول حياة الشيخ المفيد بن النعمان الكثير والكثير سواء من الشيعة الإمامية أو من غيرهم وكلهم أجمعوا على أنه قدم للأمة الإسلامية بشكل عام وللشيعة الإمامية بشكل خاص جهوداً مخلصة وخدمات جليلة دون تجريح ولاتعصب ، ويعد الشيخ المفيد من القمم الشامخة ولذلك كان الاهتمام بجوانب حياته وعصره ومؤلفاته وأساتذته وتلاميذه وفكره وآرائه الخاصة والعامة ، وكان حسن اللسان والجدل صبوراً على الخصم كثير الحلم ظنين السر جميل العلانية ، وقال عنه ابن حجر : " وكان كثير التقشف والتخشع والإكباب على العلم وتخرج به جماعة وبرع فى المقالة الإمامية حتى كان يقال عنه لايؤخذ على إمامى إلاَّ منه"[١] ، ومما يدل على عمق نظرياته فى الكلام اهتمام غير المسلمين به (من المستشرقين) ، فهذا مارتن مكدرموت يكتب فى نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد باللغة الإنجليزية[٢] وهناك كتاب آخر حول آراء الشيخ المفيد فى الإمامة باللغة الفرنسية ، بالإضافة إلى كتابات تايلور ومونتجمرى وات وفلهوزن وغيرهم. وللمفيد مناظرات ومحاورات رائعة / جيدة / شيقة أوردها تلميذه الشريف المرتضى ، وأشار إليها العلاَّمة الحلىَّ وله محاججات مع علىَّ بن عيسى الرمانى وعبد الجبار المعتزلى ، وهذا ما يؤكد ارتباطه وعلاقته بالمعتزلة فى تلك الفترة التى امتزجت فيها آراء التشيع بالاعتزال وتوفى الشيخ المفيد فى شهر رمضان ٤١٣هـ وكان يوماً مشهوداً حيث ازدحم الناس للصلاة عليه وصلى عليه تلميذه الشريف المرتضى ودفن فى بغداد

---

[1] إبن حجر العسقلانى: لسان الميزان – ٦ أجزاء– حيدر آباد الدكن – طبعة أولى–١٣٣١هـ– ج٢– ص١٣٥.

[2] وقد طبع هذا الكتاب فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٠م.

بالقرب من قبر الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد ورثاه الكثير من الشعراء وقيل فيه قصائد شعر ليس هذا مجالها . وسنكتفى بجزء من القصيدة التى نظمها تلميذه الشريف المرتضى عند وفاته وقد رثاه فقال :

إن شيخ الإسلام والدين والعلم تولى ٠٠ فأزعج الإسلاما
الذى كان غُرة فى دُجى الأيام أودى ٠٠ فأوحش الأياما
كم جَلَوت الشكوك تعرضُ فى نصٍّ وصىٍّ ٠٠ وكم نصرت إماماً!
من لفضل أخرجت منه خبيئاً ومعانٍ ٠٠ فَضضَت عنها ختاماً!!
من لسوءٍ مَيّزت عنه جميلاً وحلالٍ ٠٠ خَّلصت منه حراماً!![٢٧]

ثانياً : آراء المفيد بن النعمان الكلامية والفلسفية :

تنقسم آراء المفيد الكلامية والفلسفية طبقاً للمنهج الذى اخترته لهذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول فى جليل الكلام ودقيقه وله مباحث متفرعة عنها .

والمبحث الثانى فى لطيف الكلام وله مباحث متفرعة عنها.

فالمبحث الأول يشتمل على الإلهيات أو الميتافيزيقا ، أما الثانى فيشتمل على الطبيعيات رغم أن هناك آراء متداخلة بين الميتافيزيقا والفيزيقا فلسفياً.

المبحث الأول : فى جليل الكلام :

يذكر الشيخ المفيد بن النعمان فى باب وصف ما اجتباه من الأصول الاعتقادية نظراً ووفاقاً لما جاءت به الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد (ﷺ)

---

[27] موقع أهل البيت (عليهم السلام) – .htam الشيخ المفيد P.6 - File : //B:\

وذكر من وافق ذلك مذهبه من أصحاب المقالات المختلفة ، ولقد اجتبى من المذاهب المتفرعة عن أصلى التوحيد والعدل والقول فى جليل الكلام[١]. ومن المعروف أن أصلى التوحيد والعدل من أصول المعتزلة الخمسة ، وخصص المفيد أقوالاً فى التوحيد والصفات والعدل والكلام والرؤية والتوبة وغير ذلك من المسائل الكلامية.

١- **القول فى التوحيد والصفات** :

يجب على العاقل بحكم عقله عند الإمامية تحصيل العلم والمعرفة بصانعه والاعتقاد بوحدانيته فى الألوهية ، وعدم وجود شريك له فى الربوبية ، واليقين بأنه هو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والإيجاد والإعدام ، بل لامؤثر فى الوجود عندهم إلا الله تعالى[٢]. وللتوحيد مراتب ودرجات عند الإمامية كتوحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال ويجب التوحيد لله تعالى من جميع الجهات فكما يجب توحيده فى الذات ونعتقد بأنه واحد فى ذاته ووجوب وجوده كذلك يجب توحيده فى الصفات[١].

ويقول الإمام الصادق إن الناس فى التوحيد على ثلاثة أوجه :-

أ – مثبت لله وهو مؤمن .

ب- وناف له وهو مُبطل.

---

(1) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٣٤.

(2) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – مطبعة الاعتماد –بغداد – الطبعة الأولى – ١٩٤٤م – ص ٧٦.

(1) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية – مطبوعات النجاح – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٨١هـ – ص ٤٦.

ج- ومُشبه له وهو مُشرك.

وقال إن من زعم أن الله تعالى فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك ، حيث أنه تعالى لو كان فى شىء لكان محصوراً ، ولو كان من شىء لكان مُحدثاً ، ولو كان على شىء لكان محمولاً[٢] ، وإن اتصال التدبير وإحكام الصنع وإتمامه يدل على أن الله واحد مصداقاً لقول الله تعالى : " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا "[٣].

ولقد كان الشيخ المفيد يشرح عقيدة التشيع فى التوحيد وغيره ويدعمها بالدليل القاطع ، ويرد على الخصوم وشبهاتهم ثم يكر على عقيدتهم ومبادئهم يفندها وينثر الفلسفة والكلام فى شرحه ، وكان له فضل السبق علىمنطق العقل والتفكير الحر، فقبل الشيخ المفيد كان المؤمنون لايتجاوزون حرفية النصوص إلى العقل ؛ وبعده أصبح العقل حليفاً للنصوص الدينية وأساساً للعقيدة الإسلامية ، ومن هنا كان واحداً من رواد مُتكلمى الإمامية فى تلك الفترة وما بعدها – الذين مزجوا آراء التشيع بالاعتزال ولئن كان منهج أهل السُنة يستند إلى النقل ثم العقل فعند المعتزلة والشيعة الإمامية نجد العقل ثم النقل ، ومن هنا أيضاً جاء التقارب بين الإمامية الاثنى عشرية والمعتزلة وخاصة فى القرن الرابع الهجرى على أيدى رجال منهم المفيد بن النعمان الذى قال : " تعقل كى تؤمن

---

(2) الموسوى الزنجانى : عقائد الإمامية الاثنى عشرية – مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٨٢م- ج٢ – ص٧٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ (عن التوحيد ومراتبه).

(3) سورة الأنبياء : آية ٢٢.

"[1] ، ويقرر الشيخ أن الله عز وجل واحد فى الإلهية والأزلية لايشبهه شىء ولايجوز أن يماثله شىء ؛ وأنه فرد فى المعبودية لاثانى له فيها على الوجوه كلها والأسباب ؛ وعلى هذا إجماع أهل التوحيد إلاَّ من شذ من أهل التشبيه فإنهم أطلقوا ألفاظه وخالفوا فى معناه.

والشيخ المفيد ينتقد الإمام أبا الحسن الأشعرى وأهل التشبيه من أجل التنزيه ولاتفاقه مع المعتزلة فى هذه الجزئية الخاصة بالتوحيد والصفات قائلاً: " وأحدث رجل من أهل البصرة يعرف بالأشعرى قولاً خالف فيه ألفاظ جميع الموحدين ومعانيهم فيما وصفناه ، وزعم أن الله عز وجل صفات قديمة وأنه لم يزل بمعان لا هى هو ولا غيره من أجلها كان مستحقاً للوصف بأنه عالم / حى / قادر / سميع / بصير / متكلم / مريد ، وزعم أن لله عز وجل وجهاً قديماً وسمعاً قديماً وبصراً قديماً ويدين قديمتين ، وأن هذه كلها أزلية قديمة ، وهذا قول لم يسبقه إليه أحد من منتحلى التوحيد فضلاً عن أهل الإسلام"[1].

ومن منطلق الصفات السبع التى ذكرناها من نص المفيد نجده يقول إن الله عز وجل اسمه حىّ لنفسه لا بحياة وأنه قادر لنفسه وعالم بنفسه لا بمعنى كما ذهب إليه المشبهة من أصحاب الصفات ولا الأحوال المختلفات كما أبدعه أبو هاشم الجبائى ، وفارق به سائر أهل التوحيد من الإمامية والمعتزلة وارتكب أشنع من مقال أهل الصفات (الأشاعرة) ، وهذا مذهب الإمامية كافة والمعتزلة

---

[1] محمد جواد مغنية : الشيعة فى الميزان – دار التعاون للمطبوعات – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٧٩ – ص١٢٢.

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات – ص٥٠.

إلاَّ من سميناه وأكثر المرجئة وجمهور الزيدية وجماعة من أصحاب الحديث والمحكمة[٢] (الخوارج).

٢- **العقل عند المفيد بن النعمان** :-

يقرر المفيد أن الإمامية اتفقت على أن العقل محتاج فى علمه ونتائجه إلى السمع وأنه غير منفك عن سمع ينبه العاقل على كيفية الاستدلال ، وأنه لابد فى أول التكليف وابتدائه فى العالم من رسول ووافقهم فى ذلك أصحاب الحديث وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية على خلاف ذلك ، وزعموا أن العقول تعمل بمجردها من السمع والتوقيف إلاَّ أن البغداديين من المعتزلة خاصة يوجبون الرسالة فى أول التكليف ، ويخالفون الإمامية فى علتهم لذلك ويثبتون عللاً يصححها الإمامية ويضيفونها إلى علتهم فيما وصفه الشيخ المفيد من ضرورة احتياج العقل فى علمه ونتائجه إلى السمع ، ولكن عامة المعتزلة يتفقون مع الإمامية على ضرورة العقل أولاً ثم السمع.

ونلاحظ هنا أن المفيد يربط العقل بالتكليف وكيفية الاستدلال ، وأن العقل يحتاج إلى السمع خلافاً لمن رأى أن العقل منفك عن السمع ، ويورد فى موضع آخر من أوائل المقالات الفرق بين الرسل والأنبياء عليهم السلام ويقول إن الإمامية اتفقت على أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً ، وقد كان من أنبياء الله تعالى حفظة لشرائع الرسل وخلفائهم فى المقام ، وإنما مُنع الشرع من تسمية أئمتنا بالنبوة – كما سنبين عند الحديث عن الإمامة – دون أن يكون العقل مانعاً من ذلك لحصولهم على المعنى الذى حصل لمن ذكر من الأنبياء ،

---

[2] المصدر السابق – ص ٥١.

واتفقوا على جواز بعثة رسول يحدد شريعة من تقدمه ، وإن لم يستأنف شرعاً ويؤكد نبوة من سلف ، وإن لم يفرض غير ذلك فرضاً وأجمعت المعتزلة على اختلاف ذلك القول ، ومع الإمامية فى تصحيحه جماعة من المرجئة وكافة أصحاب الحديث[1] وسنوضح فيما بعد دور العقل وعلاقته بحسن الأفعال وقبحها عند المفيد بن النعمان.

٣- <u>القول فى كلام الله تعالى</u> :

يذهب المفيد بن النعمان إلى أن كلام الله تعالى مُحدث ، وبذلك جاءت الآثار عن آل محمد (ﷺ) وعليه إجماع الإمامية والمعتزلة بأسرها وجماعة من أصحاب الحديث وأكثر الزيدية والخوارج ، والقرآن كلام الله ووحيه وأنه مُحدث كما وصفه الله تعالى ويمنع المفيد من إطلاق القول عليه بأنه مخلوق وبهذا جاءت الآثار عن الصادقين (عليهم السلام) وهذا قول كافة الإمامية إلاَّ من شذ منهم وهو قول جمهور البغداديين من المعتزلة وكثير من المرجئة والزيدية وأصحاب الحديث ، والكلام عند المفيد هو تقطيع الأصوات ونظامها على وجه يفيد المعانى المعقولات ؛ والأصوات عنده ضرب من الأعراض ولايصح على الكلام البقاء من حيث يستحيل ذلك على الأعراض كلها ولأنه لو بقى الكلام لم يكن ما نقدم من حروف الكلمة أولى بالتأخر ولا المتأخر أولى بالمتقدم ، وكان ذلك يؤدى إلى إفساد الكلام وارتفاع التفاهم به على كل حال وهذا مذهب جماعة من المعتزلة وخالفهم سائر المشبهة[1]

---

[1] المصدر السابق – ص ٤٥/٤٦.

[1] نفس المصدر– ص ٥٤.

٤- **القول فى الإرادة** :

ويجتبى الشيخ المفيد الصفة السابعة من الصفات التى ذكرناه سابقاً وهى الإرادة ليقرر أن الله تعالى مُريد من جهة السمع والإتباع والتسليم على حسب ما جاء فى القرآن (المنقول) ولايوجب ذلك من جهة (المعقول) !! ويقول إن إرادة الله تعالى لأفعاله هى نفس أفعاله وإرادته لأفعال خلقه أمره بالأفعال وهنا يربط المفيد الأمر بالإرادة ، وبهذا جاءت الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد (ﷺ) وهم سائر الإمامية إلاَّ من شذ منهم عن قرب وفارق ما كان عليه الأسلاف ، وذهب إلى ذلك جمهور البغداديين من المعتزلة وأبو القاسم البلخى خاصة وجماعة من المرجئة ، ويخالف فيه من المعتزلة البصريون ويوافقهم على الخلاف فيه المشبهة وأصحاب الصفات وفى موضع آخر يقول المفيد إن الإرادة التى هى قصد لإيجاد أحد الضدين الخاطرين ببال المُريد موجبة لمُرادها ، وأنه مُحال وجودها وارتفاع المراد بعدها بلا فصل إلاَّ أن يمنع من ذلك من جهة فعل غير المُريد ، وهذا مذهب جعفر بن حرب وجماعة من متكلمى البغداديين وخالفهم الجبائى وابنه والبصريون والحشوية وأهل الإجبار[١] (الجبرية) . ويربط الشيخ المفيد الاختيار بالإرادة فى تساؤل فلسفى مفاده : هل الاختيار للشىء هو إراده له ؟ ويجيب أن الإرادة للشىء هو اختياره واختياره هو إرادته وإيثاره وقد يعبر بهذه اللفظة عن المعنى الذى يكون قصداً لأحد الضدين ويعبر بهما أيضاً عن وقوع الفعل على علم به وغير محمول عليه ، ويعبر بلفظ مُختار عن القادر خاصة ، ويراد من ذلك أنه متمكن من الفعل

---

[1] المصدر السابق – ص ١٠٠/١٠١.

وضـده دون أن يـراد بـه القصـد والعـزم ، وهـذا مـذهب جماعـة مـن المعتزلـة البغداديين وكثير من الشيعة ، ويخالف فيه البصريون من المعتزلة وأهل الجبر كافة .

– وهل تتعلق الإرادة بالموجود ؟ إن الإرادة التى هى تقرب كغيرها من الإرادات المتقدمة للأفعال وليس يصح مجامعتها للفعل لأنه لايخرج إلى الوجود إلا وهو تقرب ومُحال تعلق الإرادة بالموجود أو الإرادة له بأن يكون تقرباً ، وقد حصل كذلك . وأما كونها تقرباً فلأن مُرادها كذلك ، وحكم الإرادة فى الحسن والقبح والقرب والبعد حكم المراد وهذا مذهب أكثر أهل العدل والبصريين من المعتزلة يخالفونه وكذلك أهل الجبر ، وتساؤل أخير يطرحه المفيد وهو بصدد مشكلة الإرادة والقول فى الإرادة : هل هى مرادة بنفسها أم بغيرها أم ليس يحتاج إلى إرادة ؟ ويقرر أن الإرادة لاتحتاج إلى إرادة لأنها لو احتاجت إلى ذلك لما خرجت إلى الوجود إلا بخروج ما لا أول له من الإرادات ، وهذا محال بيَّن الفساد وليس يصح أن تراد بنفسها لأن من شأن الإرادة أن يتقدم مرادها ، فلو وجب أو جاز أن تراد الإرادة بنفسها لوجب أو جاز وجود نفسها قبل نفسها ، وهذا عين المحال[١] ، أو ما يطلق عليه الدور المنطقى. ولكن نلحظ أن الشيخ المفيد يذكر فى نص آخر إن بعض أهل النظر من أصحابنا (الإمامية) أطلق القول بأن الإرادة مرادة بنفسها ويعنى به أن أفعال الله تعالى الواقعة من جهته واختراعه وإيجاده لأنها هى نفس إرادته ، وإن لم تكن واقعة منه بإرادة غيرها ، ولن يصح ذلك فيها وهذا مجاز واستعارة ، والقول فى التحقيق ما ذكره المفيد ،

---

[1] المصدر السابق – ص ٧١.

وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم البلخى وكثير من البغداديين قبله وجماعة من الشيعة ويخالف فيه آخرون منهم ومن البصريين والمُجبرة كافة[٢].

ويروق لى أن أختم هذه الجزئية عن الإرادة بقول الإمام جعفر الصادق الإمام العالم الزاهد الذى قال : " إن الله أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا "[٣] ، والصادق هنا يقترب من الأشاعرة ولم يكن معتزلياً مما يدل على أن الامتزاج الشيعى الاعتزالى كان فى فترة متأخرة عنه.

٥- <u>أفعال العباد</u>:

إن الإمامية الاثنى عشرية يقولون : إن أفعال العباد غير مخلوقة لله. وقد روى عن أبى الحسن الثالث (عليه السلام) أنه سُئل عن أفعال العباد :هل هى مخلوقة؟ فقال (عليه السلام) : لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها ، وقد قال سبحانه وتعالى : " إن الله برىء من المشركين ورسوله "[١] ، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما من شركهم وقبائحهم على حد قول الشيخ المفيد[٢] ، وقد قال الحر العاملى

---

[2] نفس المصدر – ص ٧٣/٧٢.

[3] الشهرستانى : الملل والنحل – ج ١ – ص ٢٧٢ ، أيضاً: د. النشار – نشأة الفكر – ج٢ – ص٢٨٩.

[1] سورة التوبة – آية ٣ – والآية طبقاً للنص القرآنى : " وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله فإن تُبتم فهو خير لكم وإن تَوليتهم فاعلموا أنكم غير مُعجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ".

[2] المفيد بن النعمان: شرح اعتقادات الصدوق – ملحق بكتاب أوائل المقالات – ص ١٨٨/١٨٧.

فى إحدى مؤلفاته تحت عنوان : إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شىء إلاَّ أفعال العباد ، ويقرر أن مذهب الإمامية والمعتزلة أن أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها "[٣] ، ولكن الشيخ المفيد يكره إطلاق لفظ خالق على أحد من العباد ، حيث يذكر أن الخلق يفعلون ويحدثون ويخترعون ويصنعون ويكتسبون ولا أُطلق عليهم القول بأنهم يخلقون ولا لهم خالقون .. "[٤] ، أى أن العبد عند المفيد يمكن له ان يتصف بالفعل والإحداث والاختراع والصنع والاكتساب ولا يتصف بالخلق فهى صفة إلهية لا إنسانية ولعله كره ذلك احترازاً فى الوقوع تحت دائرة الشرك بالله وتخوفاً من التشبيه وقاصداً التنزيه المُطلق لله تعالى الخالق لكل شىء ، فإذا كانت أفعال العباد واقعة تحت " كل شىء " فالله خالق لها مصداقاً لقوله تعالى : " ذالكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلاَّ هو فأنى تؤفكون "[١] ، وقوله تعالى : " إن الله خلقكم وما تعملون "[٢] ، وغير ذلك من الآيات القرآنية التى تفيد نفس المعنى ، ومن المعروف أن أفعال العباد وأعمالهم داخلة تحت " كل شىء " ، وكما أقر بذلك الإمام الباقر من قبل حيث قال : إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه وكل ما وقع عليه اسم شىء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شىء "[٣] . وحتى عصره كان الوصال مقطوعاً بين

---

(3) الحر العاملى: الفصول المهمة فى أصول الأئمة – طبعة قم – إيران–١٣٨١هـ – ص٨١.

(4) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٤.

(1) سورة غافر – آية ٦٢.

(2) سورة الصافات – آية ٩٦ .

(3) الحر العاملى : الفصول المهمة – ص ٨٢.(وبخصوص الإمام الباقر فهو أبو جعفر محمد بن زين العابدين علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، لُقب بالباقر لأنه تبقر فى العلم وبقره أى توسع فيه والتبقر والتوسع بمعنى واحد وفيه يقول الشاعر : ياباقر العلم لأهل

الإمامية والمعتزلة وكره الباقر الكلام كما كره تلميذه شيخ المعتزلة واصل بن عطاء على يد أخيه زيد ، وعلة هذا أن المعتزلة كانوا يخوضون فى الكلام فى ذات الله وصفاته ويلجئون إلى تأويل آيات الله تعالى ، وما كان يقول بخلق القرآن وإنما القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق مخالفاً بذلك ما ذهب إليه المعتزلة[١] ، ويذكر عالم سُنى معاصر رداً على ما قيل – إن نفى نسبة أفعال العباد إلى الله تعالى لأن فيها قبيحاً لايصح أن ينسب إليه – فليس إلاَّ لغواً محضاً ، لأن الخالق المتعالى خلق كل شىء ثم أخبر الإنسان عن الحسن والقبح ، وأمرهم بإتيان الأول واجتناب الثانى[٢] وخيَّرهم فى ذلك ، كما سنرى فى الصفحات التالية ويقرر الشيخ المفيد تحت باب القول فى العدل والخلق بعد نفى خلق أفعال العباد عن الله تعالى : " وعلى هذا القول جمهور أهل الإمامة وبه تواترت عن آل محمد (ﷺ) وإليه يذهب المعتزلة بأسرها إلاَّ ضرار بن عمرو

التُقى .. وخير من لبى على الأجبل ، ولد عام ٥٧هـ وتوفى ١١٤هـ ، ودُفن بالبقيع إلى جانب أبيه زين العابدين .. انظر فى ذلك : ابن خلكان – وفيات الأعيان – ج٣ – ص ١٧٤ ، انظر أيضاً : هاشم معروف الحُسينى – عقيدة الإمامية – ص ١٤٠ ، والشيخ المفيد بن النعمان فى الإرشاد – ص ٢٨٥ ، وذكر أخوه الباقر وقال عن زيد بن علىَّ أنه لم يكن رجُلاً عادياً حتى فى نظر الشيعة الإمامية أنفسهم حيث يلقبونه بحليف القرآن ، انظر الإرشاد للمفيد – ص ٢٦٨ وما بعدها ، وبخصوص مآثر وفضائل الإمام الباقر انظر ما كتبه المستشرق كانون سل :

Cann, Sell : Ithna Ashraiyya, or the Twelve Shi'ah Imams, Madras, 1923. P.56

[1] د. النشار : نشأة الفكر – ج٢ – ص ١٤٠/١٤١.

[2] إحسان إلهى ظهير : بين الشيعة وأهل السُنة – ص ١٥٦.

واتباعهم وخالف فيه جمهور العامة (يقصد بهم أهل السُنة) وبقايا ممن عددناهم"[٣].

أما جمهور أهل السُنة فيقولون إن فعل العبد فعل له حقيقة ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله تعالى ، لايقولون : هو نفس فعل الله تعالى ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول[٤] ، ونقل جميع العلماء من أهل السُنة والجماعة الذين كتبوا فى الرد على عقيدة الإمامية – ومنهم الشاه عبد العزيز الدهلوى والآلوسى وإحسان ظهير بالإضافة إلى ابن تيمية كما فى مصادرهم .

٦- **<u>العدل وحسن الأفعال وقبحها</u>** :

من المعلوم أن أصول الإمامية : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة ويُعد العدل الأصل الثانى إتفاقاً – بالإضافة إلى التوحيد – مع المعتزلة وقلنا من قبل إن الشيخ المفيد اجتبى فى أوائل المقالات[١] أصلى التوحيد والعدل وبنى عليهما جميع آرائه الكلامية والفلسفية ، وإن شيوخ الرافضة (كما يطلق عليهم ابن تيمية) كالمفيد والموسوى والطوسى والمرتضى وغيرهم ، إنما أخذوا فكرة القول بالعدل من المعتزلة[٢] ، كما يُعد العدل – الأصل الرابع من أصول العقائد عند الإمامية وهو ركن من أركان الإيمان لديهم ، ويراد به الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى لايظلم أحداً ولايفعل ما يستقبحه العقل السليم ، وليس هذا فى

---

[3] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٣/٦٤.

[4] ابن تيمية : منهاج السُنة النبوية – ج١ – ص ٢١٣ وما بعدها.

[1] انظر فى ذلك : ص ٣٩ وما بعدها .

[2] ابن تيمية : منهاج السُنة النبوية – ج٢ – ص ٢٧.

الحقيقة أصلاً مستقلاً بل هو مندرج فى نعوت الحق ووجوب وجوده المستلزم لجامعيته لصفات الجمال والكمال ، فهو شأن من شىءون التوحيد ، ولكن الأشاعرة لما خالفوا العدلية – وهم الإمامية والمعتزلة – فانكروا الحسن والقبح العقليين وقالوا ليس الحسن إلا ما حسنه الشرع وليس القبيح إلا ما قبحه الشرع ، وأنه تعالى لو خلد المطيع فى جهنم والعاصى فى الجنة لم يكن قبيحاً لأنه يتصرف فى ملكه[٣] ، "ولايسأل عما يفعل وهم يسألون[٤] " والعدل هو تنزيه الله تعالى عن النقائص العقلية فى مقابل الظلم الذى هو التعدى ووضع الشىء فى غير موضعه الذى يليق به والإمامية تعتقد أن من صفات الله تعالى الثبوتية الكمالية أنه تعالى عادل غير ظالم فلا يجوز فى قضائه الطعن ولايحيف فى حكمه ويثيب المطيعين وله أن يجازى العاصين ولايكلف عباده ما لايطيقون ولايعاقبهم زيادة على مايستحقون مصداقاً لقول الله تعالى : " لايكلف الله نفساً إلاَّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "[١].

والشيخ المفيد يطلق على أصحاب العدل (العدلية) الذين قالوا إن الحاكم فى وجوب معرفة الصانع ووجوب النظر فى المعجزة لمعرفة الأنبياء عن طريق العقل لا الشرع والسمع ؛ وإن العقل يستقل بحسن بعض الأفعال وقبح بعض الأفعال ، فالحسن والقبح عقليان اتفاقاً مع المعتزلة[٢] أو العدلية كما يطلق عليهم ، والعدلية من الشيعة الإمامية لدى الشيخ المفيد هم أصحاب

---

(3) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – ص ٨٦.

(4) سورة الأنبياء – آية ٢٣.

(1) سورة البقرة – جزء من آية ٢٨٦.

(2) المفيد بن النعمان : شرح اعتقادات الصدوق – ص١٤٤.

الاعتزال المتشيع ومن ذهب إلى العدل من المعتزلة والفرق ما بينهم من بُعد وبين الإمامية فيما اتفقوا عليه من خلافهم فيه من الأصول ، والقول بالعدل وتنزيه البارى من فعل الظلم والقبح يشترك فيه الشيعة الإمامية والمعتزلة ولذلك يطلق لفظ (العدلية) على هذين الفريقين إلا أن بينهم بعض مخالفات فى فروع المسائل[٣].

ولقد تصدى المفيد لهذه المسائل ، وهنا نجد نص يذكر فيه : " .. وذاكر فى أصل ذلك ما اجتبيته أنا من المذاهب المتفرعة من أصلى التوحيد والعدل ، والقول فى اللطيف من الكلام ، وما كان منهم لبنى نوبخت[****] رحمهم الله وماهو خلاف لآرائهم فى المقال ، وما يوافق ذلك مذهبه من أهل الاعتزال وغيرهم..."[١] ، وكما خالف الإمام الباقر المعتزلة من قبل ، فقد خالف هشام بن الحكم أيضاً المعتزلة وهشام هو تلميذ الإمام جعفر الصادق ومن أكبر شخصيات مدرسته الكلامية ، وكان خلافه فى أصل العدل فذهب إلى القول

---

[3] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٣٤.

[****]بنى نوبخت أو آل نوبخت وهى أسرة علمية أنجبت عدداً من كبار علماء الشيعة نذكر منهم : الحسن ابن موسى وأبا سهل الفضل وإسماعيل بن أبى سهل وابن روح وغيرهم ، أما نوبخت فاسم فارسى لرجل فارسى أشتهر بعلم النجوم فى أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، والكلمة معناها بالفارسية (نو، بخت) معناها الحظ الجديد .. انظر فى ذلك : الحسن بن موسى النوبختى : فرق الشيعة – منشورات دار الأضواء – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٨٤ – ص (ب).

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٣٥.

بالجبر فالكافر عنده قد كفر لعلة وسبب من قِبل الله تعالى ألجأه إلى الكفر وأن الله يشاء كل فاحشة ويريد كل معصية[٢] ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله[٣].

نعود ونقول إن الإمامية وشيخهم المفيد وأسلافهم أثبتوا لله صفة العدل وأفردوها بالذكر دون سائر الصفات إشارة إلى خلاف الأشاعرة مع أن الأشاعرة حقيقةً لاينكرون كونه تعالى عادلاً غايته من حكومة العقل وإدراكه للحُسن والقُبح على الحق جل شأنه زاعمين أنه ليس للعقل وظيفة الحكم بأن هذا حسن من الله وهذا قُبح منه تعالى . والعدلية بقاعدتهم ومرجعيتهم هذه (الحُسن والقُبح العقليان) المبرهن عليها عندهم أثبتوا جملة من القواعد الكلامية كقاعدة اللطف الإلهى ووجوب شكر المنعم ووجوب النظر فى المعجزة[١] وعليها أثبتوا أيضاً مسألة الجبر والاختيار ، فبينما قالت الأشاعرة بالكسب أو بالأحرى بالجبر قالت المعتزلة والإمامية بأن الإنسان حر مختار له حرية فى أفعاله ، وما نؤكد عليه أن الله سبحانه وتعالى لايترك الحسن ولايقبل القبيح لأنه تعالى قادر على فعل الحسن وترك القبيح مع فرض علمه بحسن الحسن وقبح القبيح ، فلا الحسن يتضرر بفعله حتى يحتاج إلى تركه ولا القبيح يفتقر إليه حتى يفعله ، وهو فى كل ذلك حكيم لابد أن يكون فعله مطابقاً للحكمة وعلى حسب النظام الأكمل ،

---

[2] الأشعرى : مقالات الإسلاميين .. ج١ – ص٤١ ، يراجع أيضاً : الفصل القيم عن هشام بن الحكم وآراؤه فى التجسيم والتشبيه – د. النشار : نشأة الفكر .. ج٢ – ص٢٢٢ – ٢٥٨.

[3] الشهرستانى : الملل والنحل – ج١ – ص٣٠٨.

[1] آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – ص٨٨ ، أنظر أيضاً : محمد جواد مغنية – الشيعة والحاكمون – من ص ١٢٩–١٦٨ (عن الإمامة والحسن والقبح).

فلو كان يفعل الظلم والقبح – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فإن الأمر فى ذلك لايخلو عن أربع صور:-

أ – أن يكون حاصلاً بالأمر فلا يدرى أنه قبيح.

ب- أن يكون عالماً به ولكنه مجبور على فعله وعاجز عن تركه .

ج- أن يكون عالماً به وغير مجبور عليه ولكنه يحتاج إلى فعله.

د- أن يكون عالماً به وغير مجبور عليه فينحصر فى أن يكون فعله له عبثاً ولهواً.

وكل هذه الصور مُحال على الله تعالى ، ومن هنا نحكم على الله أنه منزه عن الظلم وفعل ما هو قبيح ، ويذكر صاحب مختصر التحفة الاثنى عشرية أن بيان الاختلاف الواقع فى مسألة النظر فى معرفة الله تعالى – واجب بالاتفاق ، ولكن هل وجوبه بالفعل أم بالشرع ؟ ذهبت الإمامية إلى الأول وأهل السُنة إلى الثانى – يتوقف عليها تحقيق مسألة الحُسن والقُبح ولا اختلاف فيها فكل من الحُسن والقُبح يطلقان على ثلاثة معان :-

المعنى الأول : كمال الشىء كالعلم ونقصانه كالجهل.

المعنى الثانى : مُلائمة الطبع كالعدل والعطاء ومنافرته كالظلم والمنع .

المعنى الثالث : استحقاق المدح والثواب والعقاب عاجلاً وآجلاً[1].

---

[1] الدهلوى (شاه غلام عبد العزيز) : مختصر التحفة الاثنى عشرية – تعريب الشيخ الحافظ غلام محمد – اختصره شكرى الألوسى – الطبعة الأولى – إسطنبول – ب.ت. – ص ٧٠ وما بعدها .

والنزاع هنا فى كونهما عقليين أو شرعيين بالمعنى الثالث فقط ، فقالت الأشاعرة على لسان الفخر الرازى إن الحسن والقبح شرعيان لاغير بمعنى أن الشرع ما لم يرد بأن هذا الفعل حسن أى أن فاعله مستحق للمدح والثواب وذلك الفعل قبيح أى أن فاعله يستحق الذم والعقاب وكل ما أمر به الشارع فهو حسن وكل ما نهى عنه فهو قبيح ، وليس للعقل حكم فى حسن الأفعال وقبحها وفى كون الفعل سبباً للثواب والعقاب ، والحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع فالأمر والنهى أمارة موجبة للحسن والقبيح[٢] وذلك خلافاً للإمامية والمعتزلة الذين يرون أن الحسن والقبح عقليان بمعنى أن الأفعال فى نفسها – بصرف النظر عن الشرع – فيها جهة حسن أو قبح تقتضى مدح فاعله وثوابه أو ذمه وعقابه[١] ، وتلك الجهة قد تدرك بالضرورة كحسن الصدق النافع وقُبح الكذب الضار[٢] ويذكر شاه غلام ما ذهب إليه الجبائى وأتباعه من المعتزلة وهو من الشخصيات التى يستند إليها الشيخ المفيد فى الاتفاقات والاختلافات فى أكثر المسائل الكلامية وفى أغلب كتبه – فى أنه ليس حُسن الأفعال وقبحها لذواتها

---

(2) الزراى : أساس التقديس – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٣٥ – ص٢٠٨.

(1) القاضى عبد الجبار الهمدانى : شرح الأصول الخمسة – ص ٣٦٥.

(2) العلاَّمة الحلىَّ : نهاية الوصول إلى علم الأصول – مخطوطة بدار الكتب المصرية – تحت رقم ٧٣٣٨ – ص١٣. (وقد أورد تلميذ الشيخ المفيد المقصد الثانى بأكمله من المخطوط فى أن الحسن والقبح عقليان – راجع د. صابر أبا زيد – العلاَّمة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ بين علم الأصول وعلم الكلام – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الطبعة الأولى – إسكندرية – ٢٠٠٣ – ص٣١ وما بعدها).

ولا لصفات حقيقية بل لاعتبارات وأوصاف تختلف بحسب الاعتبار كما فى لطم اليتيم للتأديب[٣].

.. وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل مفاده هل يحسن من الله إيلام العباد ؟

- أجابت المعتزلة بنعم مادامت كل أفعال الله حسنة وما دام إيلام الإنسان قد نُسب لله واختلف أبو هاشم الجبائى مع أبى على الجبائى فى – هل يعلم حسن إيلام الله لعباده بالشرع أم بالعقل ؟
- أجاب أبو على أنه يعلم بالشرع وأجاب أبو هاشم أنه يعلم بالعقل ، وعلى أى وجه يحسن الألم وليس فى ذلك نفع يعود عليه سبحانه ؟
- أجاب أبو على الجبائى : يحسن الألم لمجرد العوض (وهل هى منفعة مستحقة نظير ما لحق الفرد من الألم ؟) ، أما أبو هاشم فقد قال : لابد من غرض آخر هو الاعتبار ذلك لأن المنافع اللازمة من الاعتبار لاتتم إلاَّ بايصال الآلام[١] ، وقال أتباع المعتزلة من الإمامية إنهما أى الحسن والقبح – للمطلق الأعم وأستدلوا على ذلك بوجوه أربعة :-

<u>الأول:</u> إن حسن مثل العدل والإحسان وقبح مثل الظلم والكفران والتقريب بينهم غير تام.

<u>الثانى:</u> إن من تساوى فى تحصيل غرضه الصدق والكذب بحيث لامرجح بينهما فإنه يؤثر الصدق قطعاً بلا تردد وتوقف .

---

[3] شاه غلام محمد وترجمة الألوسى : مختصر التحفة الإثنى عشرية – ص ٧٤/٧٥.

[1] د. أحمد صبحى : فى علم الكلام – المعتزلة – ص ٣٢٣.

الثالث: إنه لو كان الحسن والقبح شرعيين لكانت الصلاة والزنا مثلاً متساويين فى نفس الأمر قبل بعثة الرسل فجعل أحدهما واجباً والآخر حراماً ليس أولى من العكس. بل ترجيح من غير مرجح ومناف لحكمة الأمر وهو حكيم قطعاً.

الرابع: أنه لو كان الحسن والقبح شرعيين لكان إرسال الرسل بلاء وفتنة لارحمة لأنهم كانوا قبل ذلك فى رفاهية لعدم صحة المؤاخذة بشىء مما يستلذه الإنسان ثم بعد مجئ الرسل صاروا فى عذاب أبدى ببعض الأفاعيل ، ويقرر صاحب التحفة الإثنى عشرية بعد بيان فساد أدلة المعتزلة والإمامية ومن حذا حذوهم أن الحسن والقبح شرعيان لاعقليان وهو المطلوب عندهم متفقاً فى ذلك مع الأشاعرة[٢].

أما أهل السُنة فقالت : إن العقل لايدرك حسناً ولاقبحاً ، وإنما الحسن ما أمر به الشرع كما أوضحنا ، والقبيح ما نهى عنه الله تعالى ولو أمر بما نهى عنه لصار حسناً بعد أن كان قبيحاً .. أو نهى مما أمر به لصار قبيحاً .. بعد أن كان حسناً ، ولذا يقولون هذا حسن لأن الله أمر به وهذا قبيح لأنه نهى عنه .. وهكذا .

---

[2] شاه غلام محمد وترجمة الآلوسى : مختصر التحفة – ص ٧٥/٧٧ ، انظر أيضاً : الشيخ أبو زهرة : الإمام الصادق – ص٤٨٥.

والإمامية تقول إن العقل يدرك الحسن والقبح مستقلاً عن الشرع خلافاً للأشاعرة ويقولون أمر الله بهذا لأنه حسن ونهى عنه لأنه قبيح[١] ، وكذا ذهبت الإمامية وأسلافهم من المتكلمين من أمثال المفيد والموسوى والطوسى والمرتضى والعلاَّمة الحلىَّ أن الحسن والقبح أمران عقليان لاشرعيان متفقين فى ذلك مع المعتزلة ، ويقرر علماؤهم أنه لو أمر الله تعالى بما نهى عنه لانقلب القبيح إلى الحسن ، ولو نهى عما أمر به لانقلب الحسن إلى قبيح[٢] ويذكر هاشم معروف أن الحسن والقبح العقليين يراد بهما صفتى الكمال والنقص كما نقول: العلم حسن والجهل قبيح فهما بمعنى الكمال والنقص كذلك ويراد بهما ما فيه المصلحة والمفسدة فالحسن ما فيه المصلحة الداعية إلى فعله والقبيح ما فيه المصلحة الداعيه إلى تركه[٣] ، ونختم هذه الجزئية بما ذكره الشيخ أبو زهرة فى كتابه عن الإمام الصادق إن الأشياء بعد ذلك تنقسم لحسنها وقبحها إلى ثلاثة أقسام :-

أولها :أشياء حسنة فى ذاتها لايمكن أن يأمر الشارع بتركها وهذه لها حسن ذاتى.

ثانيها:أشياء قبيحة لذاتها ولايمكن أن يطلب الشارع فعلها ، وهذه لايقدح عاقل على فعلها إلا وهو موضع ذم الناس أجمعين.

---

(1) محمد جواد مغنية : الشيعة فى الميزان – ص ٧٧ ، انظر أيضاً كتابه: مع الشيعة الإمامية – ص١٤.

(2) شرح القوشجى على تجريد العقائد للطوسى : بتحقيق د. صابر أبا زيد – ص٣٦/٣٧ ، انظر أيضاً : شرح العلاَّمة الحلىَّ المقصد الثالث – ص٦٧.

(3) السيد هاشم معروف الحسينى : عقيدة الشيعة الإمامية – ص٥٠.

ثالثها:أشياء القبح والحسن فيها نسبى كالقتال فقد يكون حسناً إذا كان لدفع الأعداء وقبيحاً إذا كان فى داخل الأمة الإسلامية[1] وبين فرقها المختلفة .

٧- **القول فى الرؤية** :

حيث إن جميع الأمور الإلهية قد اكتملت فى زمن الصادق وتبلورت كمذهب للإمامية فيما بعد حتى اتخذت صوراً متعددة كما ذكرنا من قبل وصولاً إلى الشيخ المفيد وتلاميذه وأسلافهم الذين كان لهم السهم الوافر فى الدفاع عن العقيدة الإسلامية من خلال آرائهم .. فماذا كان رأيهم فى مسألة رؤية الله تعالى ؟ تلك المسألة التى تناولها العديد من الأقلام بالدرس والتحليل ، وإذا كان سيدنا موسى (عليه السلام) كليم الله تعالى اشتهى رؤية الله والنظر إليه فى قوله تعالى : " .. ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلىالجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً .."[1] ، إذن ليس من الغريب بعد أن أدرك الإنسان مدى أهمية المعرفة العيانية أن يشتهى رؤية الله . ولكن هل رؤية الله ممكنة ؟ وإذا كانت ممكنة فما طبيعة مثل هذه الرؤية ؟

لقد انقسم المتكلمون بصدد الإجابة عن هذين السؤالين وتعددت أقوالهم فالمعتزلة مثلاً أجمعت – مع طوائف من الإمامية والزيدية – على أن الله تعالى لايرى بالإبصار فى الدنيا ولا فى الآخرة واختلفت أيضاً فيما بينها وهل يرى

---

[1] الشيخ أبو زهرة : الإمام الصادق – ص ٤٨٤.

[1] سورة الأعراف – آية ١٤٣.

بالقلوب ؟ فقال أبو الهذيل العلاف وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلم الله بقلوبنا وربطوا بين الرؤية والعلم ، وأنكر هشام الفوطى وعباد بن سليمان ذلك القول[٢] والمرجئة قالت بقول المعتزلة فى نفى رؤية الله تعالى بالأبصار رغم أن هناك قوماً منهم قال : إن الله تعالى يُرى بالإبصار فى الآخرة ، ولقد أحالت المعتزلة إمكان الرؤية وأنكرتها بالعقل والنقل معاً. فالعقل يحيل الرؤية – بالرغم من أننا نرجع إلى العقل عند تعارض الأخبار – لأن المشاهدة دلت على أن الرؤية لايمكن أن تحدث إلاَّ إذا توفرت شروط منها سلامة الحاسة ، وأن يكون الشىء جائز الرؤية ولايكون بعيداً جداً ولا قريباً جداً ، وحكم المقابلة وغاية اللطافة وامتناع الحجاب ، وإذا كانت هناك شروط تخص الأجسام[٣] والله تعالى ليس بجسم فلا يمكن اعتبار هذه الشروط ضميمة فى رؤيته. فالمعتزلة والإمامية أنكروا رؤية الله باستخدام القضايا المنطقية الشرطية المقنعة عقلاً ، أما نقلاً فقد تمسكوا بقول الله تعالى : " .. لاتدركه الأبصار .." وكذا استنادهم إلى تعليق الرؤية بالقضية الشرطية فى قصة سيدنا موسى والرؤية ، فضلاً عن التأويل المتبع لديهم حتى الآيات التى يدل ظاهرها على الرؤية فقد أولتها المعتزلة بما يتفق ومذهبهم فى إنكار الرؤية ، فهم يثبتون كل شىء بالعقل ، كما ينكرونه بالعقل ، وكذا عدم قبولهم حديث الرؤية كما جاء فى البخارى لأنه من أخبار الآحاد وأخبار الآحاد عندهم وعند الإمامية لاتوصل إلى العلم اليقينى

---

(2) الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين – ج١ – ص ٢٣٨/٢٨٩.

(3) د. فتح الله خليف : مقال عن مشكلة رؤية الله – ضمن دراسات فلسفية مهداه إلى د. مدكور بإشراف د. عثمان أمين – ص٧٤ ، وانظر تفصيلاً فى الرؤية عند المعتزلة القاضى عبد الجبار الهمدانى : المُغنى فى أبواب التوحيد والعدل – ج٤ – ص ١٤٠ وما بعدها .

ولاتوجب الاعتقاد ، أما أهل السُنة فنجدهم يعتقدون أن رؤية الله تعالى واجبة سمعاً وجائزة عقلاً ، ويذهب الشيخ المفيد ابن النعمان إلى أنه لايصح رؤية البارى تعالى بالأبصار وبذلك شهد العقل والنقل (ونطق القرآن وتواتر الخبر)عن أئمة الهدى من آل محمد (ﷺ) وعليه جمهور أهل الإمامة وعامة متكلميهم إلا من شذ منهم بشبهة عرضت له فى تأويل الأخبار،كما أن المعتزلة توافق أهل الإمامة على ذلك[١]

وإذا كان ابن تيمية يوضح النزاع فى هذه المسألة بين طوائف الإمامية وغيرهم من الفرق الكلامية ويذكر أن الإمامية لهم فيها قولان :-

- فجمهور قدمائهم يثبتون الرؤية.
- وجمهور متأخريهم ينفونها[٢].

فالأولى: من القدماء لم يثبتوا الرؤية بالأعيان ولكن بالقلوب وخصائص الإيمان ، ولعلة يقصد بهما الصادق والباقر.

والثانية: من المتأخرين هم ما عليه المفيد وتلاميذه ومعهم المعتزلة ، ومن آمالى المرتضى – وهومن تلاميذ المفيد – نورد نصاً هاماً بخصوص نفى الرؤية : " واعلم أن أصحابنا لما استدلوا على نفى الرؤية بالأبصار عن الله تعالى لقوله : " لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " (آية ١٠٣ الأنعام). وبينوا أنه تعالى تمدح بنفى الإدارك الذى هو

---

(1) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٤.

(2) ابن تيمية : منهاج السُنة النبوية – ج٢ – ص٢٤١. انظر أيضاً : عبد الحليم الجندى – الإمام جعفر الصادق – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – لطبعة الأولى– ١٩٨٦م– ص١٣

رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته فيجب أن يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقت من الأوقات ... "[1]

والله تعالى لا فى زمان ولايوقت بوقت ولامكان ؛ وقد اعتمد الإمامية والمعتزلة فى إبطال ماظنه أصحاب الرؤية – يقصد بهم أهل السُنة والسلف – فى قوله تعالى : " .. وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (القيامة ٢٢-٢٣) على وجوه معروفة كما يذكر الشريف المرتضى لأنهم بينوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودللوًا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة :منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئى طلباً لرؤيته ، ومنها النظر الذى هو الانتظار ، ومنها النظر الذى هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذى هو الفكر والتأمل[1] ، أما أستاذه الشيخ المفيد فإنه يذكر فى أوائل المقالات مسألتين مرتبطتين بمسألة الرؤية وهما :-

أ- <u>رؤية المحتضرين للرسول (ﷺ) وأمير المؤمنين علىً (عليه السلام)عند الوفاة</u> :

والقول فى ذلك عند الشيخ المفيد باب قد أجمع عليه أهل الإمامة وتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة (عليهم السلام) وجاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال للحارث الهمدانى رحمه الله شعراً:

يا جار همدان من يمت يرنى من مؤمن أو منافق قبلا

---

[1] الشريف المرتضى (على بن الحسين الموسوى العلوى) : آمالى المرتضى – غُرر الفرائد ودُرر القلائد – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – القسم الأول – دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٥٤م – ص٢٢.

[1] المرجع السابق – ص٢٦ وما بعدها .

يعرفنى طرفه واعرفه بعينه واسمه وما فعلا

وفى أبيات مشهورة يقول إسماعيل بن محمد السيد رحمة الله شعراً

ويراه المحضور حين تكون الروح بين اللُهاة والحلقوم

ومتى ما يشاء أخرج للناس فتدمى وجوههم بالكلوم

ويقرر الشيخ المفيد أن معنى رؤية المحتضر لهما (عليهما السلام) هو العلم بثمرة ولايتهما أو الشك فيهما والعداوة لهما ، أو التقصير فى حقوقهما على اليقين بعلامات يجدها فى نفسه وامارات ومشاهدة أحوال ومعاينة مدركات لايرتاب معها بما ذكرناه دون رؤية البصر لأعيانهما ومشاهدة النواظر لأجسادهما باتصال الشعاع[٢] ، وقد قال الله تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره "[١] ، وأراد الله تعالى بالرؤية هنا معرفة ثمرة الأعمال على اليقين الذى لايشوبه ارتياب وقال الله تعالى : " من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت "[٢] ، ولقاء الله تعالى هو لقاء جزائه على الأعمال وهى كما يقال الحُسنى وزيادة ، فالزيادة هى الرؤية ، وذهب على هذا القول محققو النظر من الإمامية وقد خالفهم فيه جماعة من حشويتهم وزعموا أن المحتضر يرى نبيه ووحيه ببصره كما يشاهد المرئيات ، وأنهما يحضران مكانه ويجاورانه بأجسامها فى المكان .. ولكن ماذا عن رؤية الملائكة ؟ يقول الشيخ

---

(2) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٥٥.

(1) سورة الزلزلة – آية ٨.

(2) سورة العنكبوت – آية ٥.

المفيد إن القول عندى فى ذلك كالقول فى رؤيته لرسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام وجائز أن يراهم ببصره بأن يزيد الله تعالى فى شعاعه ما يدرك به أجسامهم الشفافة الرقيقة ولايجوز مثل ذلك فى رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) لاختلاف بين أجسامهما وأجسام الملائكة فى التركيبات ، وهذا مذهب جماعة من مُتكلمى الإمامية ومن المعتزلة البلخى وجماعة من أهل بغداد.

ب- <u>طبقات أحكام المكلفين</u> :

وفى باب القول فى أحوال المكلفين من رعايا الأئمة (عليهم السلام) بعد الوفاة يذكر الشيخ المفيد أربع طبقات :-

<u>الأولى</u>: طبقة يحييهم الله تعالى ويسكنهم مع أوليائهم فى الجنان.

<u>الثانى</u> : طبقة يحيون ويلحقون بأئمتهم فى محل الهوان .

<u>الثالث</u> : طبقة أقف فيهم وأجوز حياتهم وأجوز كونهم على حال الأموات.

<u>الرابع</u> : طبقة لايحيون بعد الموت حتى النشور والمآب .

وفى تحليل وشرح الطبقات الأربع يقول الشيخ المفيد : فأما الطبقة المنعمة فهم المستبصرون فى المعارف المتمحصون للطاعات ، وأما الطبقة المعذبة فهم المعاندون للحق المسرفون فى اقتراف السيئات وأما المشكوك فى حياتهم وبقائهم مع الأموات فهم الفاسقون من أهل المعرفة والصلاة الذين اقترفوا الآثام على التحريم لها للشهوة دون العناد والإستحلال وسوفوا التوبة منها فاخترموا دون ذلك فهؤلاء جائز من الله تعالى دفع الموت عنهم لتعذيبهم فى البرزخ على ما اكتسبوه من الإجرام ، وتطهيرهم منها قبل الحشر ليردوا القيامة على الأمان من نار جهنم ، ويدخلوا بطاعتهم الجنان وجائز تأخير حياتهم إلى

يوم الحساب لعقابهم هناك ، أو العفو عنهم كما يشاء الله تعالى عز وجل ، وأما الطبقة الرابعة فهم المقصرون على الغاية فى المعارف من غير عناد والمستضعفون من سائر الناس[1] وهذا القول على الشرح الذى ذكرناه هو مذهب نقلة الآثار من الإمامية على حد قول المفيد.

٨- **حقيقة التوبة عند الشيخ المفيد** :

اتفقت الإمامية على أن قبول التوبة تفضل من الله عز وجل ، وليس بواجب فى العقول إسقاطها لما سلف من استحقاق العقاب ، ولولا أن السمع ورد بإنصافها لجاز فى العقول فعله فى التائبين مع شرط الاستحقاق ؛ ووافقهم على ذلك أصحاب الحديث وأجمعت المعتزلة على خلافهم وزعموا أن التوبة مسقطة لما سلف من العقاب على الوجوب وليس على التفضل[1] .

وفى موضع آخر يقول الشيخ المفيد إن التوبة مقبولة من كل عاص ما لم ييئس من الحياة مستنداً على النص القرآنى فى قوله تعالى : " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً[2].

ولم يذكر الشيخ المفيد الآية التى تسبق هذه الآية مباشرة حيث يوضح النص القرآنى لمن التوبة على الله ؟ يقول الله عز وجل : " إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان

---

(1) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٧٩ وما بعدها.

(1) المصدر السابق – ص ٤٧ .

(2) سورة النساء – آية ١٨.

الله عليماً حكيماً[٣] ، ثم يورد نصاً قرآنياً آخر فى قوله تعالى : " حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلاَّ إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون "[٤] ، ولعل مقصد الشيخ المفيد من عبارة " ما لم ييئس من الحياة " أن على الإنسان الذى ارتكب سيئة لديه فرصة للتوبة ، على اعتبار أن هناك من يعمل السيئة عن جهالة ثم يتوب لله تعالى عن قريب ولم ينتظر حتى يأتيه الموت فيطلب من ربه رجعته ليعمل صالحاً فهنا لاتفيد التوبة على الرغم من أن الله تعالى كما يذكر فى كتابه العزيز دائماً هو التواب الرحيم ، ويقرر المفيد أنه لايعلم من بين أهل العلم كافة فى هذا الباب اختلافاً[١] ، فالاتفاق واضح بوضوح النص الإلهى .

وعن **<u>حقيقة التوبة</u>** لدى المفيد نجده يقول : " إن حقيقة التوبة هو الندم على ما فات على وجه التوبة إلى الله تعالى وشرطها هو العزم على ترك المعاودة إلى مثل ذلك الذنب فى جميع حياته ، فمن لم يجمع فى توبته من ذنبه ما ذكرناه فليس بتائب ، وأن ترك فعل أمثال ما سلف منه من المعاصى وهذا مذهب جمهور أهل العدل والإمامية وعبد السلام الجبائى[٢] ، وفى القول فى

---

[3] سورة النساء آية ١٧.

[4] سورة المؤمنون : آيات ٩٩-١٠٠.

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٠.

[2] المصدر السابق : ص٦٠ (.. وعبد السلام الجبائى هو أبو هاشم عبد السلام بن أبى على الجبائى ولد بالبصرة عام ٣٣٧هـ ، قدم بغداد وأقام بها إلى وفاته ، أخذ علم الكلام عن والده ، تفلسف وتعلم النحو ونقض كتابى السماء والعالم والكون والفساد لأرسطو .. راجع ص ٣٤١

التوبة من القبيح مع الإقامة على مثله فى القبيح – هل تصح ؟ يجيب الشيخ المفيد إن التوبة من ذلك تصح ، وإن اعتقد التائب قبح ما يقيم عليه إذا اختلفت الدواعى فى المتروك والمعزوم عليه ، فأما إذا اتفقت الدواعى فيه لاتصح التوبة منه وهذا مذهب جميع أهل التوحيد سوى أبى هاشم الجبائى فإنه زعم أن التوبة لاتصح من قبيح مع الإقامة على ما يعتقد قبحه ، وإن كان حسناً فضلاً عن أن يكون قبيحاً[٣].

أ – <u>التوبة من مظالم العباد</u> :

إن من شروط التوبة – بالإضافة إلى ما ذكرناه – إلى الله تعالى من مظالم العباد الخروج إلى المظلومين من حقوقهم بأدائها إليهم أو باستحلالهم منها على طبيعة النفس بذلك والاختيار له فمن عدم منهم صاحب المظلمة وفقده خرج إلى أوليائه من ظلامته أو استحلهم منها على ما ذكر الشيخ المفيد والذى يضيف قائلاً: ومن عدم الأولياء حقق العزم على الخروج إليهم متى وجدهم واستفرغ الوسع فى ذلك بالطلب فى حياته والوصية له بعد وفاته ومن جهل أعيان المظلومين أو مواضعهم حقق العزم والنية فى الخروج من الظلامة إليهم متى عرفهم وجهد وأجهد نفسه فى التماسهم ، فإذا خاف موت ذلك بحضور أجله وصى به على ما تقدم فى التوبة ، ومن لم يجد طولاً لرد المظالم

هامش د. أحمد صبحى – فى علم الكلام – المعتزلة – الطبعة الثانية – ١٩٧٦م – دار الكتب الجامعية – إسكندرية)

(3) المصدر السابق : ص ٦١.

سأل الناس الصلة له والمعونة على ما يمكنه من ردها أو آجر نفسه إن نفعه ذلك ، وكان طريقاً إلى استفادة من يخرج به من المظالم إلى أهلها[١] ويجمل المفيد القول فى هذا الباب بأنه يجب على الظالمين استفراغ الجهد على التوبة فى الخروج من مظالم العباد ، فإنه إذا علم الله ذلك منهم قبل توبتهم وعوّض المظلومين عنهم إذا عجز التائبون عن رد ظلاماتهم (مظالمهم) ، وأن قصد التائبون من الظلم كان أمرهم إلى الله تعالى ، فإن شاء عاقبهم وإن شاء تفضل عليهم بالعفو والغفران ، وعلى هذا إجماع أهل الصلاة من المتكلمين والفقهاء[٢].

ب- <u>التوبة من قتل المؤمنين</u> :

الله سبحانه وتعالى حرم قتل النفس الإنسانية فى قوله تعالى: " ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون "[١] وذلك فى معرض تلاوته للمؤمنين كل ما حرمه الله عليهم وعلينا و ألا نشرك به ونحسن على الوالدين ولانقتل أولادنا ولانقرب الفواحش ظاهرها وباطنها وغير ذلك من النواهى الإلهية ؛ من هذا المنطلق نقف على قول الشيخ المفيد فى التوبة من قتل المؤمنين حيث نراه يقول : " .. إن من قتل مؤمناً على وجه التحريم لدمه دون الاستحلال ثم أراد التوبة مما فعله فعليه أن يسلم نفسه إلى أولياء المقتول فإن شاءوا استقادوا وإن شاءوا ألزموه الدية ، وإن شاءوا عفوا عنه ، وإن لم يفعل ذلك لم تقبل توبته وإن فعله كانت توبته مقبولة وسقط عنه بها عقاب ما جناه ، وبهذا نطق القرآن وعليه انعقد الإجماع ، وإنما خالف فيه شُذاذ من الحشوية

---

(1) نفس المصدر : ص ٦٢.

(2) المصدر السابق : ص ٦٣.

(1) سورة الأنعام – جزء من آية ١٥١.

والعوام ، وأما القول فيمن استحل دماء المؤمنين وقتل منهم مؤمناً على الاستحلال فإن العقل لايمنع من توبته وقبول التوبة منه لكن السمع ورد عليه الصادقين من أئمة الهدى (عليهم السلام) ، إنه من فعل ذلك لم يوفق للتوبة أبداً ولم يتب على الوجه الذى يسقط عنه العقاب به مختاراً لذلك غير مُجبر ولامضطر كما ورد الحديث عنهم – عليهم السلام – إن ولد الزنا لاينجب ولايُختار عند بلوغه الإيمان على الحقيقة وإن أظهره على كل حال ، وإنما يظهره على الشك فيه أو النفاق دون الاعتقاد على الإيقان[٢] ولعل الشيخ المفيد هنا متأثر بمبدأ التقية الشيعية الإمامية كما سيأتى.

٩- القول فى الوعد الوعيد والشفاعة :

أ – القول فى أبواب الوعيد :

يقول الشيخ المفيد فى الوعيد إن من عمل لله عملاً وتقرب إلى الله تعالى بقربة أثابه الله على ذلك بالنعيم المقيم فى جنات الخلود ، وبنى نوبخت رحمهم الله يذهبون إلى أن كثيراً من المطيعين لله سبحانه وتعالى يثابون على طاعتهم فى دار الدنيا وليس لهم فى الآخرة من نصيب[١] ، ونختلف مع الشيخ المفيد وجماعة من الإمامية فى هذا الرأى ، فالله سبحانه وتعالى إذا كان فى الوعد وعد المطيعين بالجنة فإنه فى الوعيد توعد العاصين بالنار ، وأنه لاتحابط بين المعاصى والطاعات ولا الثواب والعقاب ، فالثواب وعد من الله تعالى ، إن الله لايخلف وعده ، كما لايخلف الميعاد وكذا لايترك الوعيد لأنه لم يخلق الإنسان

---

[2] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٤.

[1] المصدر السابق : ص ٢٩.

عبثاً . وذهبت الإمامية إلى أن الوعيد بالخلود فى النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبى الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة ، ووافقهم على هذا القول كافة المرجئة سوى محمد بن شبيب وأصحاب الحديث قاطبة وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا أن الوعيد بالخلود فى النار عام فى الكفار وجميع فساق أهل الصلاة ، وذهبت أيضاً إلى أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة والصلاة لم يخلد فى العذاب ، وأخرج من النار فينعم فيها على الدوام ، وافقهم على ذلك ممن عددناهم وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا أنه لايخرج من النار أحد دخلها للعذاب ، ومن هنا لنا أن ندخل فى موضوع الشفاعة وموقف الإمامية من مرتكبى الكبائر.

ب- **معنى الشفاعة لغةً واصطلاحاً** :

جدير بالذكر أن لفظة الشفاعة وردت فى القرآن الكريم أكثر من مرة وفى عدة آيات[١] ، طبقاً لسياق المعنى وأسباب النزول، وتدور أغلبها حول الأذن لهذه الشفاعة ، ومعنى الشفاعة لغةً من الشفع ، والشفع خلاف الوتر وهو الزوج[٢] وعين شافعة تنظر نظرين وصاحب الشفاعة بالضم وهى أن تشفع فيما

---

[1] فى سورة البقرة – آية ٥٥ ، وفى سورة سبأ – آية ٢٣ ، فى سورة يونس – آية ٣ ، وفى سورة النجم آية ٢٦ .. إلخ.

[2] د. محمد أحمد عبد القادر : عقيدة البعث والآخرة فى الفكر الإسلامى – دار المعرفة الجامعية – الطبعة الأولى – إسكندرية – ١٩٨٦م – ص ٢٣١.

تطلب فتضمه إلى ما عندك فتشفعه أى تزيده[٣] ، ومشفوعاً بكذا مؤيد لـه ومُزيد عليه ويقال شفع لـه أو فيه إلى فلان شفاعة أى طلب أن يعاونـه ، والمشفع هو صـاحب الشـفاعة وصـاحب الشـفعة وجمعـه شـفعاء والمشـفع هـو المقبـول الشفاعة[٤].

وموضوع الشفاعة تناولتها أكثر الفرق الإسلامية ، والمفيد بن النعمان يذكر أن الإمامية اتفقت على أن رسول الله (ﷺ) يشفع يوم القيامة لجماعة من مُرتكبى الكبائر من أمته وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) – ويقصد به الإمام علىَّ – يشفع فى أصحاب الذنوب من شيعته وأن أئمة آل محمد (عليهم السلام) يشفعون كذلك وينجى الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين ووافقهم على شفاعة الرسول (ﷺ) المرجئة سوى ابن شبيب وجماعة من أصحاب الحديث ، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك ، وزعمت أن شفاعة رسول الله (ﷺ) للمطيعين دون العاصين وانه لايشفع فى مستحق العقاب من الخلق أجمعين[١] ، ولقد أنكرت الخوارج الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين ، ولكن الإمامية اتفقت على أن مرتكب الكبائر من أهل المعرفة والإقرار لايخرج بذلك عن الإسلام ، وإنه مسلم وإن كان فاسقاً بما فعله من الكبائر والآثام ووافقهم على هذا القول المرجئة كافة وأصحاب الحديث قاطبةً ، وأجمعت المعتزلة وكثير من الخوارج والزيدية على خلاف ذلك وزعموا أن مرتكب الكبائر فاسق وليس بمؤمن ولامسلم ، وإن ضم إلى فسقه كل ما عد

---

[3] الفيروز آبادى (مجد الدين) : القاموس المحيط – مطبعة دار المأمون – القاهرة – الطبعة الرابعة – ١٩٣٨م – ص٤٥.

[4] د. محمد أحمد عبد القادر : عقيدة البعث والآخرة – ص ٢٣١.

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٤٦.

تركه من الطاعات ، ومن هنا نجد الشيخ المفيد يفصل القول فيما بين الإسلام والإيمان ، ويذكر اتفاق الإمامية على أن الإسلام غير الإيمان وان كل مؤمن فهو مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، فالإيمان أوسع دائرة من الإسلام ؛ وإن الفرق بين هذين المعنيين فى الدين كما كان فى اللسان ، ووافقهم على هذا القول المرجئة وأصحاب الحديث وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية على خلاف ذلك وزعموا أن كل مسلم مؤمن وأنه لافرق بين الإسلام والإيمان فى الدين ، كما اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار[٢] ، وأن علىَّ الإمام أن يستتبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلاَّ قتلهم لردتهم عن الإيمان ، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار ، ويذكر الشيخ المفيد أن المعتزلة خالفت ذلك ، وزعموا أن كثيراً من أهل البدع فساق وليس بكفار ، وهنا لايمكن لنا أن نساوى بين مرتكبى الكبائر وبين أصحاب البدع وبين الفساق والكفار فلكل منهم عند الله حساب وعقاب أو توبة ومغفرة ومثاب.

وفى موضع آخر يقول الشيخ المفيد إن رسول الله (ﷺ) يشفع يوم القيامة فى مذنبى أمته من الشيعة خاصة فيشفعه الله تعالى ويشفع أمير المؤمنين (عليه السلام) فى عُصاة شيعته فيشفعه الله تعالى وتشفع الأئمة (عليهم السلام) فى مثل ما ذكرناه من شيعتهم فيشفعهم ويشفع المؤمن البر لصديقه المؤمن المذنب فتنفعه شفاعته ، ويشفعه الله تعالى ، وعلى هذا القول إجماع الإمامية إلا من

---

[2] المصدر السابق : ص ٤٧.

شذ منهم ، وقد نطق به الخطاب القرآنى وتظاهرت به الأخبار بالإذن والموافقة[1].

ونلاحظ أن الشفاعة عند المفيد اتخذت مجالاً أوسع ولم تقتصر على الله تعالى وإذنه ورسوله (ﷺ) بل الإمام علىَّ والأئمة من بعده ، وفى هذا مبالغة وغلو من الشيخ المفيد ومتكلمى الإمامية.

ج- <u>القول فى الموافاة</u> :

يقول الشيخ المفيد إن من عرف الله تعالى وقتاً من دهره وآمن به حالاً من زمانه فإنه لايموت إلاَّ على الإيمان به ، ومن مات على الكفر بالله تعالى فإنه لم يؤمن به وقتاً من الأوقات ، وإليه ذهب كثير من الإمامية وفقهائهم وهو مذهب كثير من المتكلمين فى الإرجاء (المرجئة) وبنو نوبخت يخالفون ذلك مع أهل الاعتزال[1].

ويقول إن كل عمل ذى أجزاء من العقل أمر الله تعالى بالإتيان به على الكمال وجعله مفترضاً وسُنة يستحق به الثواب كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من الطاعات ، ثم علم سبحانه أن العبد يقطعه قبل تمامه مُختاراً أو يفسده متعمداً بترك كماله فإنه لايقع منه شىء على وجه القربة إليه جل اسمه ومتى ابتدأ به لقربة الله تعالى فى الحقيقة فلن يقطعه فاعله مختاراً ولن يفسده بترك كماله متعمداً ولابد أن يصله حتى يأتى به على نظامه مُؤثراً لذلك مُختاراً ، وهذا القول فى المقطوع والموصول لدى الشيخ المفيد لاحق بباب الموافاة فى

---

(1) المصدر السابق : ص ٥٧.

(1) نفس المصدر : ص ٥٩

معناه وهو مذهب هشام بن الفوطى من المعتزلة وزرارة بن أعين ومحمد بن الطيار وجماعة من متكلمى الإمامية (وهما تلاميذ هشام بن الحكم) وسائر الزيدية وأكثر أهل التشبية وطوائف من المرجئة[٢].

ويتضح مما سبق أن الشيخ المفيد تحدث عن العموم والخصوص والأسماء والأحكام والموافاة وصغائر الذنوب ، ويذكر أن لأخص الخصوص صورة فى اللسان وليس لأخص العموم ولا لأعمه صيغة فى اللغة ، ففرق بين صورة اللسان وصيغة اللغة ، وهذا ما سنجده عند تلميذة العلاَّمة الحلىَّ الذى جمع بين علم الأصول وعلم الكلام وجمع بين علم اللغة والنحو والمنطق كما ذكر أن مرتكبى الكبائر من أهل المعرفة والإقرار مؤمنون بإيمانهم بالله وبرسوله وبما جاء من عنده ، وفاسقون بما معهم من كبائر الآثام ولايطلق عليهم اسم الفسق ولا اسم الإيمان ، بل قيدهما جميعاً فى تسميتهم بكل واحد منهما وامتنع من الوصف لهم بها من الإطلاق وأطلق عليهم اسم الإسلام فلا يكفر بالله تعالى من هو به عارف ولايطيعه من هو لنعمته جاحد.

لا كفر --------> معرفة

لا طاعة --------> جحد

فلا كفر حيث وجود المعرفة ، ولا طاعة مع وجود جحد

ومن أقوال المفيد فى أوائل المقالات أن فرائض الله تعالى تؤدى بالطاعات فى حدودها ، وترك الخلاف عليه فى شروطها ، فعلى المُكلف عدم

---

[2] نفس المصدر : ص ٦٣.

مجاوزة وتعدى الحدود والرسوم حتى لايقع تحت ما نهى الله عنه وكان عاصياً آثماً[1] ، ومن هنا عليه أن يتبع ما جاء به الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم وسُنة نبيه (ﷺ) .

١٠- <u>القول فى القرآن وما قيل عنه { الزيادة والنقصان }</u> :

يذكر الشيخ المفيد فى نص أولى فى كتابه العقائدى المشهور " أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات " عند سرد عقائد الشيعة الإمامية فى الرجعة والبداء وتحريف القرآن : " اتفقت الشيعة الإمامية على وجوب الرجعة والبداء ، واتفقوا على أن أئمة الضلال(*****) خالفوا فى كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه بموجب التنزيل وسُنة النبى (ﷺ) وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية "[1] هذا فى **<u>التأليف</u>**. أما الزيادة فيه والنقصان فيذكر الشيخ المفيد : " إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهُدىَّ آل محمد (ﷺ) باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان ، فأما القول فى التأليف فالموجود يقضى فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم ومن عرف الناسخ والمنسوخ والمكى والمدنى لم يرتب بما ذكرناه ، **<u>وأما النقصان</u>** فإن العقول لاتحيله ولاتمنع من وقوعه ، وقد امتحنت مقالة من

---

[1] المصدر السابق : ص ٤٦ ، ٥٦.

(*****) لم يفصح الشيخ المفيد بما يقصده من أئمة الضلال هل هم من الإمامية الذى هو منهم أم هم من أئمة أهل السُنة وهم المعروفون بأنهم لم يحرفوا القرآن أصلاً ؟ ونلحظ أن علماء أهل السُنة ينعتون أئمة الشيعة بأئمة الضلال وأئمة الشيعة الإمامية ينعتون أئمة أهل السُنة بنفس الوصف!، والعجيب فى الأمر أن المفيد مُلتزم فى كتاباته ، فكيف يصدر منه ذلك!؟

[1] المصدر السابق : ص ٥٢.

ادعاه وكلمت عليه المعتزلة وغيرهم طويلاً فلم أظفر منهم بحجة اعتمدها فى فساده ، وقد قال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من القرآن كلمة ولا آية ولا سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً فى مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله ، وذلك كان ثابتاً مُنزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذى هو القرآن المعجز ، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً !! قال الله تعالى:"ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علماً"[٢] فسمى تأويل القرآن قرآناً ، ويقرر المفيد إن هذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف[١] ولانوافق ما ذهب إليه الشيخ المفيد فى هذه الجزئية حيث أن القرآن الكريم هو الكتاب الذى أنزله الله تعالى على سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس الإمام علىَّ بن أبى طالب ولاغيره من الصحابة الأجلاء ، وكيف يمكن لنا أن نقبل تسمية المفيد تأويل القرآن قرآناً !؟ ، والتأويل والتفسير والفهم والشرح والفقه وغير ذلك يختلف تمام الاختلاف عن النص الإلهى المُنزل من عند الله فى القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه.

ونرى أن الشيخ المفيد يميل إلى التأويل مثله مثل أى معتزلى أو إمامى غالى رغم اعتداله فى أغلب أفكاره الكلامية !!.

أما **<u>الزيادة</u>** فيه فمقطوع على فسادها من وجه ويجوز صحتها من وجه فالوجه المقطوع على فساده أن يمكن لأحد من الخلق زيادة مقدار سورة فيه على حد يلتبس به عند أحد من الفصحاء ، وأما الوجه المجوز فهو أن يزاد فيه

---

[2] سورة طه – آية ١١٤.

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٥٨ وما بعدها.

الكلمة والكلمتان والحرف والحرفان وما أشبه ذلك مما لايبلغ حد الإعجاز ويكون ملتبساً عند أكثر الفصحاء بكلم القرآن غير أنه متى وقع لابد من أن يدل الله عليه ويوضح لعباده عن الحق فيه ، ولست أقطع – كما يقرر المفيد – على كون ذلك بل أميل إلى عدمه وسلامة القرآن عنه ويستدل على ذلك بأحاديث عن الصادق بن محمد ، وهذا المذهب خلاف ما سمعناه من بنى نوبخت من الزيادة والنقصان فى القرآن ، وقد ذهب إليه جماعة من متكلمى الإمامية وأهل الفقه منهم والاعتبار[١] ونرى أن المفيد يميل إلى عدم تحريف القرآن والقائلون من الشيعة الإمامية بعدم تحريف القرآن كثيرون منهم : ابن بابويه القمى الملقب بالشيخ الصدوق وأستاذ المفيد بن النعمان والسيد المرتضى المُلقب بعلم الهدى وأبو جعفر الطوسى تلميذ الشيخ المفيد وأبو على الطبرسى ، فهؤلاء الأربعة وغيرهم من المتقدمين الذين تظاهروا بعدم اعتقاد التحريف فى القرآن كما يذكر إحسان ظهير[٢] (العالم السُنى) ويعدهم من الغرائب ووجهة نظره أنهم لجئوا إلى التظاهر خداعاً ومكراً أو تقية وكذباً وقد جانبه الصواب حيث أنهم يصرحون بذلك فى مصادرهم وكُتبهم المعتمدة .. فلماذا لانصدقهم ؟

وعن الحكاية والمحكى فى القرآن يقول المفيد إن حكاية القرآن قد يطلق عليها اسم القرآن وإن كانت فى المعنى غير المحكى على البيان وكذلك حكاية كل كلام يسمى به على الإطلاق ، فيقال عن شعر النابغة فلان أنشد شعر النابغة وسمعنا عن فلان شعر زهير كما يقال لمن امتثل أمر رسول الله (ﷺ) فى الدين وعمل به فلان يدين بدين رسول الله (ﷺ) فيطلقون هذا القول إطلاقاً

---

[1] المصدر السابق : ص ٩٣ وما بعدها.

[2] إحسان إلهى ظهير : بين الشيعة وأهل السُنة – ص ٧١

من دون تقييد وإن كان المعنى مثل ما ذكرناه من الحكاية على التحقيق ، وهذا مذهب جمهور المعتزلة ويخالف فيه أهل القدر من المجبرة[٣] ، ومن تحليل نص المفيد نرى أن إطلاق اسم القرآن على حكاية القرآن فيه نظر، لأننا نقول قال الله تعالى فى القرآن حكاية عن كذا وكذا .. إلخ ، فالقرآن الكريم وهو بصدد ذكر حكايات الأنبياء مثلاً (يوسف – موسى – عيسى ..) يذكر ما كان منهم وما وقع لهم من حكايات ومعجزات للعبرة والاتعاظ والتدبر ومعرفة قصص ما كان قبلنا ، ولانوافق ما ذهب إليه المفيد من أن حكاية القرآن اسم القرآن ، وهل من أنشد شعراً لأى شاعر كمن ألف هذا الشعر ؟! أما قول المفيد من أن فى القرآن ناسخاً ومنسوخاً كما أن فية محكماً ومتشابهاً بحسب ما علمه الله من مصالح العباد فلا خلاف فى ذلك لأنه ورد فى القرآن الكريم نفسه فى قوله تعالى : ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها[١] ، والنسخ فى القرآن عند المفيد إنما هو نسخ ما يتضمنه من الأحكام وليس هو رفع أعيان المُنزل منه كما ذهب إليه كثير من أهل الخلاف[٢] ، ومن المنسوخ فى القرآن قوله تعالى : " والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج"[٣] وكانت العدة للزوجة بالوفاة للزوج بحكم هذه الآية حولاً ثم نسخها قوله تعالى : " والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن

---

(3) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٥٩.

(1) سورة البقرة : آية – ١٠٦.

(2) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٦٠.

(3) سورة البقرة : جزء من آية – ٢٤٠.

أربعة أشهر وعشراً "[٤] واستقر هذا الحكم باستقرار شريعة الإسلام . وكان الحكم الأول منسوخاً والآية به ثابتة غير منسوخة وهى قائمة فى التلاوة كناسخها بلا اختلاف ، وهذا مذهب الإمامية وجماعة من أصحاب الحديث وأكثر المحكمة والزيدية ويخالف فيه المعتزلة وجماعة من المجبرة ويزعمون أن النسخ قد وقع فى أعيان الآيات كما وقع فى الأحكام ، وقد خالف الجماعة شُذاذ انتموا إلى الاعتزال وأنكروا النسخ فى باقى القرآن على كل حال وحكى عن قوم منهم أنهم نفوا النسخ فى شريعة الإسلام على العموم وأنكروا أن يكون الله تعالى نسخ فيها شيئاً على جميع الوجوه والأسباب.

ويوضح المفيد أن القرآن ينسخ بعضه بعض ولاينسخ شيئاً منه السُنة بل تنسخ السُنة به كما تنسخ بمثلها من السُنة قال الله تعالى : " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها "[١] ، ولايصح أن يماثل كتاب الله تعالى غيره ولايكون فى كلام أحد من خلقه خير منه ولا معنى لقول أهل الخلاف (نأت بخير منها) فى المصلحة لأن الشىء لايكون خيراً من صاحبه بكونه أصلح منه لغيره ، ولايطلق ذلك فى الشرع ولاتحقيق اللغة ، ولو كان كذلك لكان العقاب مثلاً خيراً من الثواب وإبليس خيراً من الملائكة والأنبياء !! وهذا قول فاسد مُحال ، والقول بإن السُنة لاتنسخ فى القرآن – وهذا صحيح – مذهب أكثر الشيعة الإمامية وجماعة من الفقهاء وأصحاب الحديث ويخالفه كثير من الفقهاء والمتكلمين[٢].

---

[4] سورة البقرة : آية – ٢٣٤.

[1] سورة البقرة : آية ١٠٦.

[2]المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٢/٦١.

ويذكر الشيخ أبو زهرة وهو بصدد الحديث عن القرآن ما ادعاه الكلينى عن الصادق أنه يرى أن القرآن الكريم قد اعتراه النقص وأن عبارة (آل محمد) قد حذفت من القرآن فى كل موضع كانت فيه ، وإن نسبة هذا النقص المزعوم والحذف الموهوم إلى الصادق – افتراء على الله ورسوله وأحفاده ، فلعن الله صاحب هذه الفرية ومن حذا حذوه ، ويعود ويقول إن كبار الإمامية فى الماضى والحاضر – منهم من يزيل هذا الغُبار وينقل الصحيح والصدق عن أبى عبد الله جعفر الصادق ، فالشريف المرتضى مثلاً – وهو تلميذ الشيخ المفيد – يقرر الصدق فى النقل عن ذلك الإمام النقى التقى ويقول إن القرآن كان فى عهد رسول الله (ﷺ) مجموعاً مؤلفاً على ماهو عليه الآن وكان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة بحفظه له وأنه كان يعرض على النبى (ﷺ) ويُتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأُبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى (ﷺ)عدة ختمات[1] ، وكل ذلك وغيره يدل بأدنى تأمل أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ، وإن من خالف ذلك من الإمامية والحشوية لايُعتد به حيث أن هناك من الإمامية الاثنى عشرية فى الماضى – ومنهم الشيخ المفيد – وفى الحاضر ومنهم آل كاشف الغطاء وهاشم معروف الحسينى وغيرهما – يزيلون ذلك الريب والشك الذى اعتملوه فى صحيح نص القرآن الكريم الذى حفظه الله تعالى.

١١- <u>مسألة الإمامة</u> :

---

[1] الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٥٧م – ج٢ – ص٥٦٢ (فى تاريخ المذاهب الفقهية).

أ – تمهيد :

إن اختلاف الفرق الإسلامية فى الأصول والعقائد وانقسامها إلى خوارج وشيعة إمامية وأشاعرة ومعتزلة وغير ذلك لايستدعى اختلافها فى التشريع والفقه وفروعه ، وحتى الفرقة الواحدة المتفقة فى أصول العقائد قد تختلف فى المسائل الفقهية وتنتمى إلى أكثر من مذهب واحد من المذاهب الأربعة المعروفة لدى أهل السُنة ، وقد اختلف علماء الإمامية فى أكثر المسائل الفقهية بنحو لايكاد الباحث يجد اثنين من عُلمائهم متفقين فى جميع المسائل وأحياناً يلتقى علماء الإمامية (الذين يزعمون أن فقههم جعفرى وحديثهم كلينى) مع علماء المذاهب الأربعة فى مسائل الفقه والتشريع مع ما بينهم من خلاف وتباين فى الأصول[1] – على الأقل فى مسألة الإمامة (الأصل الرابع عند الإمامية والزائد عن أصول أهل السُنة والجماعة) ، وكانت مسألة الإمامة – وما زالت – من أبرز المسائل الخلافية بين المسلمين وساعدت على تعدد الفرق وأحدثت فجوات واسعة بينهم أكثر من أى مسالة أخرى وألف فيها كل من السُنة والشيعة عشرات المجلدات وكتب فيها وعنها عشرات المؤلفين والعلماء وكانت ولاتزال من أبرز ما حدث بينهم وأسوأها أثراً على مسيرة الإسلام وتطبيق مبادئه خلال تلك القرون المتتالية من تاريخه ، وصدق الشهرستانى مؤرخ الفرق حين قال إن أول خلاف نشأ فى

---

[1] هاشم معروف الحسينى : أصول التشيع (عرض ودراسة) – دار القلم – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٨١ – ص١١٧ ، انظر أيضاً : بخصوص نقاط الإختلاف ما كتبه العالم الباكستانى المقيم بأمريكا.

Ahmed (Akbar .S) : Islam Today , A Short The Muslim World – I.B.Tauris – Publishers – London – New-York – 1999-P.42-44.

الإسلام كان فى مسألة الإمامة[٢] ، ومهما يكن الأمر فالإمامة أو الخلافة أو الرياسة كلمات تعبر عن معنى واحد وهو الرياسة العامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول (ﷺ) واحترام الإمام من احترام الرسول لأنه نائب الرسول على حد قول علماء الإمامية ولأنه القائم على دين الله والأمين على حفظه ورعايته وتنفيذ تعاليمه بأمانه وإخلاص لاتشوبهما شائبة ، والإمامة لغة التقدم ، نقول أم القوم وبهم : تقدمهم والإمام ما ائتم به الناس من رئيس أو غيره هادياً كان أو ضالاً ، ويطلق لفظ الإمام على الخليفة . ومن هنا اقترن لفظ الإمامة بالخلافة . والإمام هو السلطان الأعظم وإمام الرعية ورئيسهم وأممت القوم فى الصلاة إمامة وائتم به أى أقتدى ، ويطلق لفظ الإمام كذلك على القرآن الكريم فهو إمام المسلمين ، وعلى الرسول (ﷺ) فهو إمام الأئمة وعليهم جميعاً الائتمام بسُنته التى نص عليها[١] . ومن المفهوم اللغوى لكلمة إمام نستطيع أن ندرك سبب إطلاق هذا الاسم على حاكم المسلمين ، كما وجدنا ترادفاً بين الإمامة والخلافة ، ويفسر الشيخ أبو زهرة ذلك قائلاً: سُميت خلافة لأن الذى يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبى (ﷺ) فى إدارة شىءون المسلمين وتسمى الإمامة لأن الخليفة كان يُسمى إماماً ولأن طاعته واجبة ولأن الناس يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤُمهم للصلاة[٢] ، ولم ترد لفظة الإمامة فى القرآن

---

[2] الشهرستانى : الملل والنحل – ج١ – ص٢٤ (إذ ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان).

[1] د. على أحمد السالوس : مع الشيعة الإمامية فى الأصول والفروع – دراسة مقارنة فى العقائد – دار التقوى للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – مصر – ١٩٩٧م – ج١ – ص٢٧.

[2] الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية – ج٢ – ص٢١ وما بعدها .

الكريم وإنما ورد لفظ إمام وكذا أئمة[٣] ، ويذكر الحسينى أن السلطان خليفة الرسول (ﷺ) ووحى الله فى بلاده وظله الممدود على عباده[١] ، وعلى ما فى النص الأخير من مبالغة ومغالاة ، فسنرى ماذا كان تصور الإمامية وشيخهم المفيد فى مسألة الإمامة.

ب- <u>تصور الشيخ المفيد للإمامة</u> :

يرى البعض أن الإمامة عند الإمامية الاثنى عشرية[٢] وغيرهم من الشيعة كالنبوة والإمام عندهم كالنبى ، غير أنه لايطلق عليه لفظ النبوة ، وهذا ما يؤكده ما روى عن الكلينى عن محمد بن مسلم إنه قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : الأئمة بمنزلة رسول الله (ﷺ) إلاَّ أنهم ليسوا بأنبياء ولايحل لهم من النساء ما يحل للنبى (ﷺ) فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله (ﷺ)[٣] وروى أيضاً عن جعفر (وهم دائماً ينسبون روايتهم إلى الإمام جعفر الصادق)

---

(3) يراجع فى ذلك : سورة البقرة – آية ١٢٤ ، سورة الأنبياء – آية ٧٣ ، وسورة التوبة آية ١٢ وسورة القصص – آية ٤١.

(1) هاشم معروف الحسينى : أصول التشيع – ص١٢٠ (وقد قام المؤلف بالهجوم على الأستاذ على عبد الرازق فى كتابه الإسلام وأصول الحكم بخصوص صلاحيات الإمام والخليفة عند المسلمين وأن رسالة محمد لاتشمل السلطة الدينية والدنيوية وإنما هى رسالة كرسالة سيدنا موسى وسيدنا عيسى (عليهما السلام) .. راجع ص ١٢٢ وما بعدها).

(2) بخصوص الاعتقاد الإمامية وأسلافهم باثنى عشر إماماً أولهم الإمام علىً بن أبى طالب وأخرهم الإمام المهدى المنتظر صاحب الزمان – راجع المفيد بن النعمان – الاختصاص – طبعة طهران – ١٣٧٩هـ – ص٢٣٣ وما بعدها .

(3) محمد بن يعقوب الكلينى : الكافى فى الأصول – كتاب الحجة – باب فى أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى– ج١ – ص٢٧٠.

أنه قال : " نحن خزان علم الله ، نحن تراجمة أمر الله ، نحن قوم معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا ، نحن الحجة البالغة من دون السماء وفوق الأرض[١] ، وعلى ذلك يكفر الإمامية كل من ينكر إمامة أئمتهم المعصومين ويضعون الإمامة فى مرتبة النبوة. أما الشيخ المفيد بن النعمان فيقول بكل وضوح وصراحة اتفقت الإمامية على كفر من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجب الله تعالى له من فرض إطاعته فهو كافر ضال مُستحق الخلود فى النار[٢] ، وفى موضع آخر يقرر أن الإمامية اتفقت على أن الإمامة بعد النبى (ﷺ) فى بنى هاشم خاصة ثم فى علىَّ والحسن والحسين ومن بعده فى ولد الحسين دون ولد الحسن إلى أخر العالم.. وأن رسول الله (ﷺ) استخلف أمير المؤمنين (عليه السلام) فى حياته ونص عليه بالإمامة بعد وفاته وإن من دفع ذلك عنه دفع فرضا من الدين[٣] ، ولقد قالت الاثنى عشرية بالنص الجلىَّ والزيدية بالنص الخفى ، ويذكر علماؤهم أن منطلق الإمامة هو منطلق النبوة بالذات والهدف الذى من أجله وجبت النبوة هو نفسه الهدف الذى من أجله تجب الإمامة ، فالإمامة واجبة ، وكما أن النبوة لطف من الله ، كذلك الإمامة لطف من الله أيضاً ، والنبوة لطف خاص والإمامة لطف عام ، وهذه المسألة من أمهات المسائل التى دار الخلاف فيها بين الإمامية وأهل السُنة الذين ينكرون نص الرسول (ﷺ) على إمامة من بعده أياً كان وأنه تركهم على المحجة

---

(1) المصدر السابق : ج٢ – ص٢٦٩.

(2) المفيد بن النعمان : كتاب المسائل (نقلاً عن البرهان فى تفسير القرآن) المقدمة – ص٢٠ – طبعة إيران – ب.ت.

(3) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٤٨ ، ٥٣.

البيضاء ويذكر صاحب عقائد الإمامية أن الإمامة لطف يجب نصبه على الله تعالى تحصيلاً للغرض ، والإمامة هى الأصل الرابع فى معتقدات الشيعة الإمامية وهى أصل الخلاف بين الشيعة وسائر الفرق الإسلامية وتعريف الإمامة لدى الإمامية والمفيد بن النعمان هى رياسة الدين والدنيا ومنصب إلهى يختاره الله بسابق علمه ويأمر النبى (ﷺ) بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم بإتباعه[١].

وفى باب الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة وسائر أصحاب المقالات يذكر المفيد بن النعمان أن تسميته للمذهب يعرف **بالإمامة** ووصف الفريق من الشيعة بالإمامية لقولهم بالإمامة ، فهو علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها فى كل زمان ، وأوجب النص الجلىَّ والعصمة والكمال لكل إمام ثم حصر الإمامة فى ولد الحسين بن علىَّ وساقها إلى الرضا علىَّ بن موسى لأنه وإن كان فى الأصل علماً على ما دان من الأصول بما ذكره دون التخصيص لمن قال فى الأعيان فإنه قد انتقل من أصله لاستحقاق فرق من معتقديه ألقاباً بأحاديث لهم وبأقاويل أحدثوها فغلبت عليهم فى الاستعمال دون الوصف بالإمامية وصار هذا الاسم فى عرف المتكلمين وغيرهم من الفقهاء والعامة[٢]. أما الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علىَّ بن أبى طالب

---

(1) الزنجانى : عقائد الإمامية .. ج٣ – ص٥ ، وعن الإمام وشروطه وطريقة تعينه وأدلة الإمامة وانطباقها على الإمام علىَّ العقلية والنقلية – راجع ص ٧ ،٨ ، ثم عرض المؤلف أدلة النقل من القرآن واستخدامهم التأويل لتواكب معتقداتهم مع إيراد حوالى ثلاثين حديث من كُتب الثقاة – راجع ص ٩ ، ١٠ .

(2) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٤٢ ، الإرشاد – ص ١٨٦.

والحسن والحسين وزيد بن علىَّ رضى الله عنهم ، وبإمامة كل فاطمى وما إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد.

وأورد المفيد الفرق بين الإمامية والمعتزلة فى الإمامة حيث اتفق أهل الإمامة على أنه لابد فى كل زمان من إمام يحتج إليه عز وجل به على المكلفين ويكون بوجوده تمام المصلحة فى الدين ، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وجواز خلو الأزمان من إمام موجود وشاركهم فى هذا الرأى وخالف الإمامية فيه الخوارج والزيدية والمرجئة والعامة والمنتسبون إلى الحديث ، واتفقت الإمامية على أن إمام الدين لابد أن يكون معصوماً من الخلاف لله تعالى عالماً بجميع علوم الدين كاملاً فى الفضل بائناً من الكل وأجمعت المعتزلة وغيرها من الفرق التى ذكرها المفيدعلى خلاف ذلك وجوزوا أن يكون الأئمة عُصاة فى الباطن وممن يقارف الآثام ولايجوز الفضل ولايكمل علوم الدين ، والإمامة عند الإمامية لاتثبت إلا بالنص على عينه والتوقيف ، وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف ذلك وأجازوا الإمامة فى من لامعجز له ولانص عليه ولاتوقيف ، وإذا كانت الإمامية فى نظر المفيد بعد النبى (ﷺ) فى بنى هاشم خاصة ثم فى علىَّ وأبنائه إلى آخر العالم ، فالمعتزلة ومن ذكرناهم من الفرق على خلاف ذلك وأجاز سائرهم إلاَّ الزيدية خاصة الإمامة فى غير بنى هاشم وأجازتها فى غير ولد الحسين[1].

---

[1] المصدر السابق : ص ٤٣/٤٤.

ح – **عصمة الأئمة** :

إن العصمة فى أصل اللغة هى ما اعتصم به الإنسان من الشىء كأنه امتنع به عن الوقوع فيما يكره ، وليس هو جنساً من أجناس الفعل ومنه قولهم اعتصم فلان بالجبل[1]. وموضوع عصمة الأئمة من العقائد الثابتة لأصل الإمامة لدى الإمامية ، ولكن ما الذى أثار الشيعة الإمامية للقول بعصمة الإمام ودفعهم إلى الدفاع عنها وبحثها بحثاً كلامياً وفقهياً ؟

يقرر الشيخ المفيد أن هذا الأمر مرده إلى أربعة أسباب:

أولاً: هو أن الإمام صاحب السلطة لا الأمة كما يدعى الأشاعرة ، فبينما تعلن الأشاعرة **عصمة الأمة** مستندين إلى الأصل المشهور (الإجماع) مُتخذين من الحديث المشهور " لاتجتمع أمتى على ضلالة " ، فإن الشيعة الإمامية تعلن **عصمة الإمام** مستندين أيضاً على أصلهم المشهور لمولاة الإمام ، وأن الأرض لاتخلو من قائم بالحق وعلى الحديث الشيعى " ومن مات ولم يعرف إمامه مات ميتةً جاهلية " طبقاً لرواية الكلينى فى الكافى.

ثانياً: نسب الإمامية للإمام العلم الإلهى ، وهو علم سرى فى كتب وجوامع – الجفر والجامعة ومصحف فاطمة .. إلخ ، وعلم ما كان وماهو كائن وما سيكون ، وأن حامل هذا العلم الإلهى لابد وأن يكون معصوماً من الخطأ والنسيان .

---

[1] والعصمة من الله تعالى هى التوفيق الذى يسلم به الإنسان مما يكره ، إذا أتى بطاعة ، وذلك مثل إعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً ليتشبث به فيسلم – انظر فى ذلك : الشيخ المفيد بن النعمان – أوائل المقالات – ص٧٩/٨٠.

ثالثاً: النور الإلهى نور محمد (ﷺ) كيف يكون مستودعاً ومستقراً فى إمام ويكون هذا الإمام عُرضه للخطأ[1]؟ وهنا مدخل للغنوصية فى مصدرها الأفلوطينى المُحدث كما يُقرر النشار[2].

رابعاً: الإمام مصدر الأحكام وله وحده مطلق التصرف فى أعناق المسلمين وكل ما يمس حلالهم وحرامهم ، وكما أنهم لم يوافقوا أهل السُنة على الإجماع لم يوافقوا الكثير وأكثر على القياس فحين حرموا القياس لجأوا إلى الحكم المباشر من الإمام. لا إجماع إذن ولاقياس وإنما نص قرآنى أو حديث متواتر عن إمام من الأئمة المعصومين فى نظرهم .. فأى نظر هذا ؟!.

وبخصوص الإجماع وأخبار الآحاد يذكر المفيد إن إجماع الأمة حجة لأن يتضمن قول الحجة وكذلك إجماع الشيعة حجة لمثل ذلك دون الإجماع المُتعارف عليه ، فاجماع الإمامية يثبت حقاً من جهة الإمام الحجة ، الامام القائم ، إمام الزمان . ويغالى المفيد ويذكر أنه لو قال وحده قولاً لم يوافقه عليه أحد من الآنام لكان كافياً فى الحجة والبرهان ، وإنما جعلنا الإجماع حجة به إذ هو أعظم الأمة قدراً وهو المقدم على سائرها فى الخيرات ومحاسن الأقوال والأعمال ، وهذا مذهب أهل الإمامة ، ويخالفهم فيه المعتزلة والمرجئة والخوارج وأصحاب الحديث من القدرية فى أهل الإجبار[1] (الجبرية). أما عن أخبار الآحاد فيقرر المفيد أنه لايجب العلم ولا العمل بشيئ من أخبار الآحاد ولايجوز

---

[1] المفيد بن النعمان : شرح عقائد الصدوق – ص٦٢ وما بعدها.

[2] د. النشار : نشأة الفكر – ج٢ – ص٢٩٩.

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٥٧.

لأحد أن يقطع بخبر الواحد فى الدين إلاَّ أن يقترن به ما يدل على صدق رواية على البيان ، وهذا مذهب جمهور الشيعة الإمامية وكثير من المعتزلة والمُحكمة وطائفة من المرجئة ومُخالف لما عليه الفقهاء وأصحاب الحديث[٢].

المهم فى الأمر أن الإمامية يقررون أن الإمام كالنبى فى عصمته وصفاته وعلمه بما فى ذلك فى غلو واضح ، أضف إلى ذلك أنهم يعتقدون أن أئمتهم كانوا محيطين بالعلوم الإلهية ، ويستندون إلى حديث شيعى فى قول جعفر بن محمد (عليه السلام) إن الله عَلم نبيه التنزيل والتأويل فعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) قال : وعلمنا الله ....."[٣]

ويذكر الشيخ المفيد فى الاختصاص قول الإمام علىَّ (عليه السلام) : " سلونى قبل أن تفقدونى فو الذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية فى ليل نزلت أو فى نهار أُنزلت مكيها ومدنيها سفريها وحضريها ناسخها ومنسوخها مُحكمها ومُتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم به "[٤].

وتعتقد الإمامية وأسلافهم أن علياً (عليه السلام) لم يكن واسع المعرفة فى علوم القرآن فحسب ، بل كان واسع الاطلاع فى الحديث أيضاً فقد كتب الإمام علىَّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحاديث كثيرة ضمنه صحف توارثها الأئمة من بعده وكانت إحدى الصحف المذكورة تسمى **الجفر** وهو وعاء من أدم فيه علم النبيين وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل وهناك صحيفة أخرى تسمى "

---

(2) المصدر السابق : ص ٩٢ ، ١٣٩ انظر أيضاً : الإرشاد للمفيد – ص٢٣٧.

(3) الكلينى : أصول الكافى – ج٤ – ص٥٤٥.

(4) المفيد بن النعمان : الإختصاص– طبعة إيران – طهران – ١٣٧٩هـ – ص٣٦.

مصحف فاطمة " وحجمه يزيد على حجم القرآن بثلاث مرات على رواية الكلينى فى الكافى ، ويقصد بالمصحف هنا كتاب الحديث لأن الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله تعالى إلى النبى (ﷺ) للإعجاز والتحدى ولتعليم الأحكام والعبادات والمعاملات وغير ذلك ، وأنه لانقص فيه ولاتحريف ولازيادة وعلى هذا إجماع الإمامية وعلمائهم ومُتكلميهم[1] إلا من شذ منهم.

ولقد نسبت إلى الإمام الصادق أقوال مثل العلم بما كان وماهو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة ، وإن عنده **الجفر** منها : الجفر الأبيض وفيه زابور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليهم السلام والحلال والحرام ، والجفر الأحمر فهو السلاح يفتحه صاحب السيف أو القائم للقتل[2] .

وعن حقيقة الجفر يروى لنا ابن خلدون أن هارون بن سعيد العجلى – وهو من الزيدية الإمامية – كان له كتاب يرويه عن الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص على الخصوص منهم ، وقع ذلك لجعفر الصادق ونظرائه عن طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الأولياء ، وكان مكتوباً فى جفر على جلد ثور صغير رواه عنه هارون العجلى وسماه الجفر باسم الجلد الذى كُتب فيه ، كما كان فى باطنة تفسير لبعض آيات القرآن

---

(1) آل كاشف الغطاء : الشيعة وأصولها – ص٢٠٦.

(2) د. أحمد صبحى : نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية – دار المعارف – مصر – الطبعة الأولى – ١٩٦٩م– ص٣٧٤.

الكريم[1] ، ويرد د. الفياض إن هذه الصحف التى يدعى الإمامية بوجودها وينسبونها إلى الإمام الصادق ليس لها أى أهمية فى الوقت الحاضر مع فرض وجودها ، فهى **أولاً** لم تصل إلينا (كعالم شيعى) ، و**ثانياً** إنها لم تكن من بين كُتب الحديث الإمامية الأربعة المعتبرة عندهم والتى هى بمثابة الصحاح الستة عند أهل السُنة وكتبهم المعتبرة هى :-

- كتاب الكافى للكلينى المشتمل على الأصول والفروع والروضة ، وقد جمع فيه مؤلفة ١٦٠٩٩٠ حديثاً وتزيد على مافى الصحاح الستة .
- كتاب من لايحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ابن بابويه القمى) والذى شرح الشيخ المفيد اعتقاداته مع أوائل المقالات.
- الإستبصار لشيخ الطائفة محمد بن جعفر الطوسى.
- التهذيب للطوسى أيضاً[2]

وجدير بالذكر أن طائفة من الأحاديث الواردة فى تلك الكتب يتطرق إليها الشك وأخبارها أخبار آحاد ، فقد دأب عُلماء الشيعة الإمامية ومُتكلموهم المُعتدلين ومنهم المفيد بن النعمان والسيد الشريف المرتضى والطوسى وغيرهم -على عدم الإعتراف بحجية الأحاديث التى تضمنتها تلك المجموعة دون بحث فى ثقة رواتها وفحص دقيق لمتونها ، ولكن يجب ألا ننكر إن بعضهم يعتد بها وبما جاء فى بطونها ويعتبرونها سنداً قوياً لبيان وجهة نظرهم وخاصة عندما

---

[1] ابن خلدون : المقدمة – طبعة دار الشعب – ب.ت – ص ٢٣٤.

[2] د. الفياض(عبد الله خليل): تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى – الدار المتحدة للنشر والتوزيع – بغداد – الطبعة الثانية – ١٩٨٣م – ص٤٧ وما بعدها (وهذه الكتب مذكورة فى أكثر من مصدر ومرجع شيعى وسُنى).

يناقشون علماء أهل السُنة والجماعة وفى قضايا الخلاف بينهم. ولكن الشيخ المفيد يذكر أن هذه الأحاديث نكنزها عن رسول الله (ﷺ) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم وذلك فى رواية لجابر بن زيد عن الإمام الباقر ، كما روى المفيد أن جعفراً بن محمد (عليه السلام) قال من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن والتفسير فدعوه[١] ، والعجيب فى الأمر أن الشيخ المفيد يقرر إن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة الذين نقلوا عن أبى عبد الله (عليه السلام) من الثُقاة على إختلافهم فى الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل من أصحابه[٢]ويرى بعض المستشرقين أن الخطورة تكمن فى إنتشار الحركة الشيعة وبخصوص الضغط على الأئمة وشيعتهم والحد من هذا الإنتشار للحركة الشيعية لخطورتها على سلطة الكيان السياسى يقول فون جرونو Von.G.E. لقد وجدت الحكومة السُنية نفسها مضطرة إلى تحطيم الحركة الشيعية لا لأنها خطرة من الناحية السياسية فحسب بل لأن إعتقاد الشيعة بعصمة أئمتهم فى الأمور العقائدية والخُلقية قد يؤدى فى حالة بعض الغُلاة من الشيعة الإمامية إلى تحطيم جوهر الإسلام[١].

وختاماً لعرض مسألة الإمامة وتصوره لدى الشيخ المفيد بن النعمان والإمامية يجدر بنا أن نذكر المفهوم المرجعى لكتابات غير المسلمين إستناداً إلى ما قاله الكلينى فى أن حجة الله لا تقوم على خلقه بدون الإمام ، وإن معرفة الأئمة شرط للإيمان وإن طاعة الأئمة واجبة كطاعة الرسول (ﷺ) وإن الأئمة

---

(1) المفيد بن النعمان : الإختصاص – ص ٦٦ ، انظر أيضاً : آمالى المفيد – ص١٣،١.

(2) المفيد بن النعمان : الإرشاد.. – ج١– ص ٢٤٩.

(1) Grune Ban (Von) : Medievial Islam. Chicago. 1956- P. 188.

لهم الخيار فى تحليل الأشياء وتحريمها وأنهم معصومون مثل الأنبياء ...[٢] ، ولقد إستنبط المحققون من غير المسلمين نفس هذا المفهوم من تصور الإمامة المذكور لدى معتقد الإمامية ، فهذا البطريق هوجيس Patrik Hugec يقول إن الشيعة الإمامية إنما يخلعون على الأئمة صفات الله تعالى[٣] ، ومحقق آخر وهو I.Vanw يقول إن إستمرار حضور الإمامة فى العالم بصفة دائمة إنما يمنح النبوة مكانة جانبية !![٤] أما المحقق فيليب حتى Phillip. H. يتحدث عن إمامة الشيعة ويذكر أن النبى (ﷺ) كان قد جعل الوحى – أى القرآن – واسطة بين الله والإنسان ، ولكن الشيعة حولوا هذه الواسطة إلى شكل الإنسان يعنى الإمام ، ولقد زاد الشيعة فى كلمة الإيمان (آمنت بالله وآمنت بالقرآن الذى ليس مخلوقاً) كلمة أخرى وهى إننى آمنت بالإمام الذى اختاره الله تعالى ، وهو يشارك صفات الألوهية وهو منقذ للإنسانية !![١] إلى هذا الحد كان تأثير آراء الإمامية الغُلاة منهم – فى آراء المستشرقين والمحققون من غير المسلمين ولفتح ثغرات نقدية لطعن الإسلام فى الصميم ، ليس هذا فحسب بل إن للإمامة عقائد متفرعة عنها ونذكر منها البداء والتقية والرجعة ، وهى من العقائد التابعة للإمامة ومما يشنع به الناس على الشيعة الإمامية ، ويزدرى به عليهم أيضاً

---

[2] الكلينى : االكافى فى الأصول – ج٢ – ص٢٢٩ وما بعدها.

[3] Thomas (Patrick. H.) , Dictinary of Islam, - London - 1885 - P.574.

[4] H.A.R. Gibb and J. H. Karmer Short or Encyclopaedia of Islam, leiden - 1953 - P.228.

[1] Phillip. K. Hitti, History of the Arabs,- London.- 1953 – P.248 (Friest Class).

بشهادة أحد علماؤهم وحجتهم[٢] ، وسنلقى الضوء على هذه العقائد التابعة بإيجاز لنرى موقف الشيخ المفيد منها كممثل للإمامية المعتدلة .

د – <u>البداء</u> :

ومعنى البداء الظهور بعد الخفاء ؛ وهو مصدر بدا يبدو بداءٍ أى ظهر ظهوراً ويستعمل فى العرف بمعنى الظهور بعد الخفاء ، فيقال : " فلان كان عازماً على كذا ثم بدا له فعدل عنه "[٣] ، والبداء لغةً إستصواب شىء بعد أن لم يعلم .. وقال الفراء بدا لى بداء أى ظهر لى رأى آخر وأنشد قائلاً:

لو على العهد لم يخنه لدمنا ٠٠ ثم لم يبد لى سواه بداء

وقال الجوهرى : وبدا له فى الأمر بداء أى نشأ له فيه رأى ، وذكر أيضاً " بدا لى بداء أى تغير لى رأى على ما كان عليه "[١] ، وفى هذا المعنى أستُعمل هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى آيات عديدة[٢] بمعنى الظهور بعد الخفاء ، وتُجيز الشيعة الإمامية هذا البداء لله تعالى[٣] كما تنص على ذلك نصوص كتبهم

---

[2] يراجع فى ذلك الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – ص١٦٣ (وهذا لايمنع من أنه يدافع عن وجهة نظر الإمامية بعد ذلك بتقديم مبررات القول بالبداء وإن من يشنع من الناس عليهم ماهو إلاَّ متخيل).

[3] السيد محسن الأمين : الشيعة بين الحقائق والأوهام – طبعة بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – ١٩٧٧م – ص٤٥/٤٦.

[1] ابن منظور : لسان العرب – طبعة مصر – ج١٤ – ص٦٦.

[2] يراجع سورة الزمر – آيتان ٤٧ ، ٤٨ ، سورة الجاثية – آية ٣٣ ، وآل عمران – آية ١١٨ والأعراف – آية ٢٢ .. إلخ

[3] إحسان ظهير : بين الشيعة وأهل السُنة – ص١٧٦.

ومصادرهم المعتمدة منها ما روى عن الإمام جعفر الصادق أنه كان يقول بإمامة أبنه إسماعيل بعده ولما مات إسماعيل فى حياته فقال: " ما بدا لله فى شىء كما بدا فى إسماعيل ابنى "[٤] ، ويعلق الشيخ المفيد على هذا النص فى فقرة رائعة قائلاً : " .. وأما ما اعتلت به الإسماعيلية من أن إسماعيل رحمه الله كان الأكبر وأن النص يجب أن يكون للأكبر فلعمرى إن ذلك يجب إذا كان الأكبر باقياً بعد الوالد ، وأما إذا كان المعلوم من حاله أنه يموت فى حياته ولايبقى بعده فليس يجب ما ادعوه بل لامعنى للنص عليه ولو وقع لكان **كذباً** ، لأن معنى النص أن النصوص عليه خليفة الماضى فيما كان يقوم به ، وإذا لم يبعد بعده لم يكن خليفة فيكون النص حينئذ عليه **كذباً** لامحاله ، وإذا علم الله أنه يموت قبل الأول فأمره باستخلافه لكان الأمر بذلك **غشاً** مع كون النص **كذباً** لأنه لافائدة فيه ولاغرض صحيح ، فيبطل ما اعتمدوه وما ادعوه وتوهموا فاسداً من قبل أنه ليس لأحد من أصحابنا إعتراف بأن أبا عبد الله (عليه السلام)نص على أبنه إسماعيل ولاروى راو ذلك فى شاذ من الأخبار ولا فى معروف منها ، وإنما كان الناس فى حياة إسماعيل يظنون أن أبا عبد الله (عليه السلام) ينص عليه لأنه أكبر أولاده ، وبما كانوا يرونه من تعظيمه فلما مات إسماعيل رحمه الله زالت ظنونهم وعلموا أن الإمامة فى غيره فتعلق هؤلاء المبطلون بذلك الظن وجعلوه أصلاً وادعوا أنه قد وقع النص وليس معهم فى ذلك أثر ولاخبر

---

[4] ابن بابويه القمى : كمال الدين وتمام النعمة – طبعة طهران – ١٣٩٥هـ – ج١– ص٦٩ انظر أيضاً النوبختى : فرق الشيعة – ص ٦٤ ، القمى (سعد بن عبد الله) : كتاب المقالات والفرق – طبعة طهران – ١٩٦٣م – ص٧٨ ، كما ورد مثل ذلك فى الكافى للكلينى – ج٢ – ص٣٢٧ وغيرها من المصادر.

يعرفه أحد من نقلة الشيعة ، وإذا كان معتمدهم على الدعوى المجردة من برهان فقد سقط بما ذكرناه. فأما الرواية عند أبى عبد الله (عليه السلام) من قوله : ما بدا لله فى شىء كما بدا له فى إسماعيل فإنها على غير ما توهموا أيضاً من **البداء فى الإمامة** ، وإنما معناها ما روى عن أبى عبد الله أنه قال إن الله تعالى كتب القتل على أبنى إسماعيل مرتين فسألته فيه فعفا عن ذلك فما بدا له فى شىء كما بدا إسماعيل يعنى به ما ذكره من القتل الذى كان مكتوباً فصرفه عنه ، وعلى ذلك إجماع فقهاء الإمامية ومعهم فيه أثر عنهم عليهم السلام إنهم قالوا مهما بدا الله فى شىء فلا يبدو له فى نقل نبى عن نبوته وإمام عن إمامته ولامؤمن عن إيمانه ، وإذا كان الأمر كذلك فقد بطل ما أعتمدوه وجعلوه دلالة على نص أبى عبد الله على إسماعيل ، فأما من ذهب إلى إمامة محمد بن إسماعيل بنص أبيه عليه فإنه منتقض القول فاسد الرأى من قبل إنه إذا لم يثبت لأسماعيل إمامة فى حياة أبيه لإستحالة وجود إمامين بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى زمان واحد لم يجز أن تثبت إمامة محمد لأنها تكون حينئذ ثابتة بنص غير إمام ، وذلك فاسد بالنظر الصحيح[1] ، اتفقت الإمامية على إطلاق لفظ البداء فى وصف الله تعالى وإن ذلك من جهة السمع دون القياس[2] ، ويقول الشيخ المفيد فى موضع آخر من معنى البداء ما يقوله المسلمون باجمعهم فى النسخ وامثاله من الإفقار بعد الإغناء ، والإمراض بعد الإعفاء ، والإماتة بعد الإحياء ، وما ذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة فى الآجال والأرازق والنقصان منها

---

[1] الشيخ المفيد بن النعمان : الفصول المختارة من العيون والمحاسن – حققه مصطفى الداورى – نشر مكتبة قم المقدسة – طهران – ب.ت – ص٢٥٠ وما بعدها .

[2] الشيخ المفيد : أوائل المقالات – ص٤٦.

بالأعمال ، فأما إطلاق لفظ البداء فيقرر المفيد أنها تتحقق بالسمع الوارد عن الوسائط بين العباد وبين الله تعالى ، ولو لم يرد به سمعاً يعلم هو صحته ماجوزوا إطلاقه على المعانى التى لاتأباها العقول ، وليس بينه وبين كافة المسلمين الذين ينكرون البداء على الله من غير الإمامية أى خلاف على حسب رأيه ، وإنما الخلاف من خالفهم فى اللفظ دون ما سواه[٣] .

وبالجملة فالبداء هو منزلة فى التكوين كمنزلة النسخ فى التشريع فكما أن لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح وأسراراً بعضها غامض وبعضها ظاهر ، فكذلك فى الإخفاء والإبداء فى عالم التكوين ، فالله سبحانه وتعالى فى كتابه :" كل يوم هو فى شأن "[٤] " يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب "[٥] ، ولايقصد بذلك الانتقال من عزم إلى عزم أو من حال إلى حال لحصول شىء لم يكن حاصلاً أو لم يكن الله به عالماً فكل ذلك ما لايجوز إطلاقه على الله تعالى ، ولكن الله يحدد الآجال ويجعلها مشروطة فى الامتداد بالبر وفى الانقطاع بالفسوق ، فالبداء من الله يختص بما كان مشترطاً فى التقدير[١].

وعقيدة البداء مرتبطة ووثيقة الاتصال بعقيدة إطلاع الأئمة على الغيب[٢] ، والله تعالى يظهر لنا من أفعاله ما لم يكن فى حسباننا ولاتقديرنا من

---

[3] المصدر السابق : ص٩٤.

[4] سورة الرحمن : آية – ٢٩.

[5] سورة الرعد : آية – ٣٩.

[1] آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – ص١٦٥ ، انظر أيضاً د. أحمد صبحى: نظرية الإمامة – ص ٣٧٨ وما بعدها.

[2] جار الله العراقى : الوشيعة فى عقائد الشيعة – ص١٨٣.

مرجعية أن البداء لغة هو الظهور[٣] ، ومصداقاً لقوله تعالى : " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون "[٤] وتقول العرب: بدا لفلان عمل حسن وبدا له كلام فصيح ، وينقسم البداء إلى نوعين: بداء مقبول ، وآخر غير مقبول ، وهو الذى اعتمدته الغُلاة من الشيعة الإمامية ، والبداء لدى الشهرستانى (مؤرخ الفرق) له معانٍ ثلاثة :-

الأول: البداء فى العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم .

الثانى: البداء فى الإرادة وهو أن يظهر له صواب عمله خلاف ما أراد وحكم

الثالث: البداء فى الأمر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك[٥].

ويقرر الموسوى أن الأنبياء وأئمة الدين أجمعوا على تحقيق البداء بالنسبة إلى الله تعالى ، ويعتمد على ما جاء فى الكافى عن الصادق: ما عظم الله بمثل البداء ، وما بعث نبياً قط حتى يقول له بالبداء ويسرد روايات كتبهم أن الصادق كان يقول: لو علم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما افتروا من الكلام فى البداء ، وما عُبد الله بشىء مثل القول بالبداء وإن الإيمان بالبداء أفضل العبادة[١] .. وغير ذلك من المبالغات الشيعية والتى ليس فيها ما يثبت صحة ذلك القول المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق.

---

[3] المفيد بن النعمان: شرح عقائد الصدوق – ص٢٤/٢٥.

[4] سورة الزمر : آية – ٤٧.

[5] الشهرستانى : الملل والنحل – ج١ – ص١٠٩ .

[1] الموسوى الزنجانى: عقائد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية – ج١ – ص٣٤/٣٥.

وفى المقابل نجد نصير الدين الطوسى فى نقد المُحصل ينكر قول الإمامية بالبداء وإنها لم تقع إلا فى رواية رددها عن الصادق ، وإنه جعل بعده ابنه إسماعيل القائم مقامه بعده فظهر من إسماعيل عمل ما ارتضاه أبوه فجعل إسماعيل بعده ابنه موسى فسُئل الصادق عن ذلك فقال : " بدا الله فى إسماعيل " هذه رواية يقول فيها الطوسى إن خبر الواحد لايوجب علماً ولاعملاً[٢] ، ورغم اتفاقه فى هذه الجزئية مع الشيخ المفيد إلا أن المفيد لاينكر البداء أصلاً ، ومن هذا وذاك فقد أُشكل على الفهم بصدد معنى البداء ومراده ومن هنا وقعوا فى إنكاره وبالغوا فيه تنزيهاً لله تعالى عن ذلك فأخرجوه من قدرته وسلطانه زعماً منهم أن معنى البداء فيه تعالى ليس إلاَّ ماهو المتحقق فينا نحن البشر من ظهور الشىء للشخص بعد الجهل به ، وعدم الإحاطة بجميع جهاته ، وهذا المعنى من البداء مستحيل بالنسبة إليه تعالى إذ المفروض أنه تعالى ذات محيط بما سواه إحاطة واقعية لا ما يفهم من معنى الإحاطة فهو تعالى محيط بكل شىء حدوثاً وبقاءً إحاطةً واقعية .

فلباب القول فى البداء هو بقاء اختياره تعالى بعد حدوث الأشياء كثبوت الاختيار له تعالى عند حدوثها فكما أنه تعالى قبل إيجاد الأشياء له أن يختار الإيجاد وله أن يختار العدم – وهذا ما عبر عنه المفيد من ورود السمع فى الإماتة بعد الإحياء – فكذا بعد الإيجاد له أن يختار عدم البقاء ففى كل آن هو فى شأن من الإيجاد بالنسبة إلى ما لم يوجد بعد والإبقاء بالنسبة إلى ما وجد ، والإمامية فى الحقيقة لاتعنى أن شيئاً قد بدا لله كان عنه – تعالى– خافياً أو أنه

---

[2] انظر فى ذلك : شرح نصير الدين الطوسى على محصل أفكار المتقدمين .. للرازى – مكتبة الكليات الآزهرية – ص١٦ وما بعدها.

انتقل من حال إلى حال ، ولكن كما أن لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح للعباد ، كذلك فى الإخفاء والإبداع فى عالم التكوين مصالح وحكم تقصر عنها العقول . والله سبحانه له الأمر من قبل ومن بعد ، ولعل ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة قريب من هذا الرأى حيث يقول عن الإمامية وقولهم بالبداء هو تغيير مظهر إرادة الله فى الأشياء وهو فى الخلق يقابل النسخ فى الأحكام ، فكما أن الله تعالى ينسخ من الأحكام ما نرى حكمة نسخه كذلك يغير فى التكوين بمقتضى إرادته فى الخلق والتدبير ولكنه يختلف عنهم فى ابتداء القول فى البداء ويرجعها إلى زمن المختار الثقفى عندما كان يدعى أنه يخبر عن الغيب فإذا وقع الأمر على خلاف ما أُخبر قال : قد بدا لربكم[1] .. ولكن العلاَّمة فضل الله الزنجانى فى تعليقه على أوائل المقالات للشيخ المفيد يقول: إن لفظ البداء يطلق على معنيين:-

- **الأول** : هو الظهور ، وهذا فى الأصل فى هذه اللفظة من حيث الوضع اللغوى.
- **والثانى**:هو الانتقال والتحول من عزم إلى عزم ، بحصول العلم أو الظن بشىء بعد ما لم يكن حاصلاً[1].

والبداء بالمعنى الأخير مما لايجوز إطلاقه على الله تعالى لاستلزامه حدوث العالم وتجدده مما دلت الأدلة القاطعة على نفيه عنه تعالى ، والشيخ المفيد يؤكد على أن الخلاف خلاف لفظى .

---

[1] الشيخ أبو زهرة : الإمام الصادق – دار الفكر العربى– الطبعة الثانية – القاهرة – ب.ت – ص.٢٣٤

[1] الشيخ المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٩٤ (تعليق الزنجانى).

ويعود الشيخ أبو زهرة ويؤكد إن كان البداء هو التغيير فى المقدور فذلك ما لم يقله أحد من أهل السُنة لأنه تغير لعلمه وذلك لايجوز[٢] ، رغم تأكيدات صاحب الكافى بأحاديث منسوبة إلى الإمام الصادق ولقد ورد فى مسنده[٣] أخبار فى مجموعها تدل على أن البداء فى نظره هو أن يظهر للناس ما أكنه الله تعالى فى علمه وذلك لاينافى علم الله تعالى ، ومن هنا أيضاً نجد المعتزلة[٤] الذين يتفق معهم الإمامية فى أصلى التوحيد والعدل وبعض الأصول والعقائد فى مرحلة الشيخ المفيد – لايوافقون على عقيدة البداء وينكرونها لاستحالتها على الله تعالى متفقين فى ذلك مع أهل السُنة.

هـ <u>التقيــة</u> :

والمبدأ الثانى بعد البداء هو مبدأ التقية أو عقيدة التقية الإمامية الشيعية المنبثقة والتابعة لعقيدة الإمامة لديهم . والتقية أن يخفى الشخص ما يعتقد دفعاً للأذى وعلى حد قول العلاَّمة المظفرى إن التقية من الوقاية فهى جُنة تدار بها المخاوف والأخطار[١] ، وإن الأصل فى ثبوت التقية هو إجازة الله تعالى للمؤمنين إذا كان فى حال ضعف ، وهو أن يظهروا المولاة لاعدائهم من الكفار ، وقد قال الله تعالى : " لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن

---

[2] الشيخ أبو زهرة : الإمام الصادق – ص ٢٣٥.

[3] الإمام جعفر الصادق : المُسند – دار الفكر – بيروت – ب.ت – ج١ – ص٧٣.

[4] انظر فى ذلك تفصيلاً القاضى عبد الجبار الهمذانى : المُغنى فى أبواب التوحيد والعدل – ج١ – ص١٦ –٦٥.

[1] محمد رضا المظفرى : عقائد الإمامية – مطبوعات النجاح – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٨١هـ – ص٤٠

يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تُقاة ويحذركم الله نفسه"[٢] ، ويذكر إحسان ظهير إنما هو الأمر بالإتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب والله تعالى أباح لمن أكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان ، لكن لم يكره أحداً من أهل البيت على شىء من ذلك ، ويرمى الإمامية من الشيعة بالكذب والنفاق والكفر لجوازهم التقية[٣] ولقد رخص الله تعالى للمؤمن أن ينطق بالكفر تقيةً إذا تعرض للموت والهلاك من الأعداء حفاظاً على نفسه ودينه ، فقد قال الله تعالى :" إلاَّ من أُكره وقلبه مُطمئن بالإيمان "[٣] ، كما سوغ النبى (ﷺ) لآل ياسر أن ينطقوا بكلمة الكفر وقلوبهم مطمئنة بالإيمان[١] ، ورغم ذلك قال لهم صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة وذلك لأنه رأى تعذيب الكفار والمشركين لهم ولجماعة من أصحابه وحملهم على الشرك وإظهارهم الكفر والشيعة الإمامية كانوا منذ زمن الحكم الأموى فى اضطهاد وأذى ، وما كان يسوغ أن يسكتوا عن مظالم الأمويين لولا التقية ، ولهذا كان الإمامية أكثر المسلمين أخذاً بمبدأ التقية التى هى من الأمور التى يشنع بها بعض الناس على الشيعة ويزدرى عليهم بها ويؤكد آل كاشف الغطاء أن ذلك جهل منهم (أى الناس) بمعناها وبموقعها وحقيقة مغزاها ولو تثبتوا فى الأمر وتريثوا فى الحكم وصبروا وتبصروا لعرفوا أن الشيعة الإمامية فى قولهم بالتقية فإنهم يقررون ماهو ضرورة فى العقول وعليه جبلت الطباع وغرائز البشر

---

[2] سورة آل عمران : آية – ٢٨.

[3] إحسان إلهى ظهير : بين الشيعة وأهل السُنة – ص١٦٦ وما بعدها.

[3] سورة النحل : آية – ١٠٦.

[1] الإمام محمد أبو زهرة : الإمام الصادق – ص٢١١.

وشريعة الإسلام فى أسمى أحكامها وجوهريات مشروعيتها وتلازم فيه العقل والعلم جنباً إلى جنب وكتفاً إلى كتف ، ومن ضرورة العقول أن كل شىء وكل إنسان مجبول على الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته ، وهى أعز الأشياء عليه وأحبها إليه ، نعم قد يهون بذلها فى سبيل الشرف وحفظ الكرامة وصيانة الحق ومهانة الباطل وغير ذلك ، ويورد لنا مبررات الأخذ بالتقية وأسبابها وأن الشريعة أجازت للمسلم فى مواطن الخوف على نفسه أو عرضه إخفاء الحق والعمل به سراً ريثما تنتصر دولة الحق وتغلب على الباطل ، والعمل بالتقية له أحكامه فتارة يجب كما إذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة وأخرى يكون رخصة كما لو كان فى تركها والتظاهر بالحق تقوية له ، فله أن يضحى بنفسه وله أن يحافظ عليها ، وثالثة يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجباً لرواج الباطل واحتلال الحق وإحياء الظلم والجور!![1] ، ولقد وردت فى التراث الشيعى القديم روايات كثيرة تدعو إلى التقية رددها الإمامية عن الإمام الصادق إن حقاً أو باطلاً ، إن صدقاً أو كذباً لكنها فى أمهات كتبهم المعتبرة والمعتمدة ، فإنه يروى أن الصادق قال: " التقية دينى ودين آبائى ولادين لمن لا تقية له "[2].

والتقية عند الشيخ المفيد هى كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ، ومكاتبة المخالطين وترك مظاهرتهم بما يعقب لهم . وإنها جائزة فى الدين عند الخوف على النفس ، وقد تجوز فى حال دون حال للخوف على المال ولضروب من

---

[1] آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – ص١٦٦/١٦٧.

[2] الكلينى : الكافى فى الأصول – ج٢ – ص٢٣٣.

الاستصلاح واللطف ، ويقول إنها قد تجب وتكون فرضاً وتجوز أحياناً من غير وجوب وتكون فى وقت أفضل من تركها ويكون تركها أفضل ، وإن كان فاعلها معذوراً ومعفواً عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها[٣] ويقرر المفيد فى أوائل المقالات أنها جائزة فى الأقوال أيضاً وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح ولايجوز من الأفعال فى قتل المؤمنين ولا فيما يعلم أو يغلب أنه استفساد فى الدين ؛ وهذا مذهب يخرج عن أصول أهل العدل وأهل الإمامة دون المعتزلة والزيدية والخوارج والعامة المتسمية بأهل الحديث[٤]

ولاندرى لماذا يذكر المفيد أهل العدل ثم يذكر المعتزلة فهل ينسب الإمامية إلى أهل العدل رغم أن هذا اللقب مشهور للمعتزلة ؟ ثم كيف ينعت أهل الحديث بالعامة ، هل يقصد بهم أهل الحديث من السُنة أصحاب الصحاح الستة أو أهل الحديث من الإمامية أصحاب الكافى وصحبه من أصحاب الكتب المعتبرة لديهم؟!. على كل حال إذا كانت التقية بالمعنى الشيعى أو المعنى السُنى فالأول له علماؤه يدافعون عنه ، ويؤكدون أن ما يقصده الفريق الثانى من فهم معنى التقية ويتهمون الإمامية بالكذب والنفاق والضلال ليس لهم حق فى ذلك ، ويثبتون بالأدلة أن عظماءَهم سحقوا التقية تحت الأقدام وقدموا هياكلهم المقدسة قرابين للحق على مشانق البغى والظلم[١] ، وفى المقابل نجد هجوم ابن تيمية السلفى عليهم بأشد ألفاظ السباب ويؤكد أن ما تتظاهر به الرافضة (الإمامية)

---

[3] الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق – ص٦١.

[4] الشيخ المفيد : أوائل المقالات – ص ٧٣ ، ص ١٣٥.

[1] آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – ص١٦٨/١٦٩.

هو من باب الكذب والنفاق[٢] والله أعلم بحقيقة الأمر والآن ننتقل إلى المبدأ الثالث والمتعلق أيضاً بالإمامة وهى الرجعة .

و- <u>الرجعة</u> :

من الأفكار المرتبطة بالإمامية لدى الشيعة الإمامية ، وكذا بفكرة المهدى المنتظر وكثير من الباحثين يرد فكرة الرجعة إلى الأفكار اليهودية المدسوسة بين المسلمين التى تولى إثمها عبد الله بن سبأ اليهودى الأصل وفكرة الرجعة أى رجوع الأموات قبل البعث والنشور عند ظهور القائم الشيعى المعدوم المزعوم على حد قول علماء السُنة[١] وهناك باحثان يذهبان إلى أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام بعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه فى يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية .. إلخ ، وعلى حد قول أحمد أمين فى فجر الإسلام[٢] والمقريزى فى الخطط[٣] فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم إن اللاهوت اتحد بالناسوت فى الإمام وأن النبوة والرسالة لاتنقطعان أبداً . ومن

---

(2) ابن تيمية : منهاج السُنة النبوية – ج١ – ص١٥٩/١٦٠ ، انظر أيضاً : إحسان ظهير: بين الشيعة وأهل السُنة – ص١٧٤/١٧٥ ، وهو من علماء السُنة الذين يهاجمون الإمامية بضراوة وقوة ويورد مقولة عالم شيعى هندى معاصر هو السيد إمداد إمام فى ان مذهب الإمامية وأهل السُنة عينان تجريان إلى مختلف الجهات وإلى القيامة تجريان هكذا متباعدتين ولايمكن اجتماعهما أبداً ، وهذا ما يرفضه أى معتدل من الفريقين فى سبيل التقريب بين السُنة والشيعة.

(1) إحسان إلهى ظهير : بين الشيعة وأهل السُنة – ص١٤٣ وما بعدها.

(2) أحمد أمين : فجر الإسلام – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة ١٣ – القاهرة – ١٩٨٢م – ص٢٧٧.

(3) المقريزى : الخطط – ج١ – ص٣٦٢. (انظر أيضاً : ما ذهب إليه المستشرق جولدتسيهر فى العقيدة والشريعة – ص ١٩١ وما بعدها .. بخصوص العناصر المسيحية وامتزاجها بفكرة المهدوية).

هنا ظهر الغُلو والغُلاة فى التشيع من القول بتناسخ الأرواح والتجسيم والتشبيه والحلول والرجعة وغير ذلك. وجدير بالذكر أن الاعتقاد بفكرة الرجعة يكاد يكون من المُجمع عليه عند الشيعة الإمامية ولاخلاف بينهم فى ذلك ، وقد أفرد إمام متكلمى الشيعة الإمامية وفقهائهم – الشيخ المفيد – باباً فى القول فى الرجعة يقول إن الإمامية اتفقت على وجوب الرجعة – رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا – قبل يوم القيامة ؛ وإن الله تعالى يرد قوماً من الأموات إلى الدنيا – فى صورهم التى كانوا عليها فيعز منهم فريقاً ويذل فريقاً ، ويفصل بين المحقين والمبطلين وبين المظلومين والظالمين وذلك عند قيام مهدى آل محمد[1] (ﷺ) أو المهدى المنتظر الذى سيظهر يوماً ما ويملأ الدنيا عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً على حد قول الشيعة.

ويتضح من النص السابق للمفيد أنه ممن يؤمنون برجعة المهدى المنتظر وأن الراجعين إلى الدنيا فريقان .. **الفريق الأول**: من عَلت درجته فى الإيمان وكثرت أعماله الصالحات وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر والموبقات فيريه الله تعالى دولة الحق ويعزه بها ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه . **والفريق الآخر** : من بلغ الغاية فى الفساد وانتهى فى خلاف المحقين إلى أقصى الغايات ، وكثر ظلمه لأولياء الله واقترافه السيئات فينتصر الله تعالى لمن تعدى عليه قبل الممات ويشفى غيظهم منه بما يحله من النقمات ثم يصير

---

[1] الشيخ المفيد : أوائل المقالات – ص٥٢ ، انظر أيضاً للشيخ المفيد كتاب الإرشاد فى تاريخ حجج الله على العباد – ص٣٩٨/٤٠٢. (عن الرجعة وروايته أحاديث عن محمد الباقر ووالده جعفر الصادق انظر أيضاً د. مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب – الدار المصرية اللبنانية – الطبعة ١٣ – القاهرة – ١٩٩٧م – ص٢٠٣ وما بعدها.

الفريقان من بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقون من دوام الثواب فى الجنة أو دوام العقاب فى النار[٢].

وقد جاء القرآن الكريم بصحة ذلك وتظاهرت عين الأخبار ، والإمامية بأجمعهم على ذلك إلا من شذ وتأول على الوجه الذى يخالف ما ذهب إليه القوم ، وفى موضع آخر يذكر المفيد أن الإمامية وإن اتفقت على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة إلا أنه كان بينهم فى معنى الرجعة اختلافاً والاختلاف الذى أشار إليه هو أن جماعة من الشيعة الإمامية كانوا يُؤَولون الأخبار الواردة فى الرجعة على طريق الاستفاضة إلى رجوع الدولة ورجوع الأمر والنهى إلى الأمة وإلى شيعتهم وأخذهم بمجارى الأمور دون رجوع أعيان الأشخاص ، والباعث لهم على هذا التأويل هو عجزهم عن فصيح القول بها نظراً واستدلالاً وإثبات عدم استحالها عقلاً[١]. وعلى كل حال فالرجعة ليست من الأصول التى يجب الاعتقاد بها والنظر إليها وإنما كما يقرر الشيخ المفيد " اعتقدنا بها تبعاً للآثار المتبعة لأئمة أهل البيت الذين ندين بعصمتهم من الكذب وهى من الأمور الغيبية التى أخبروا عنها ولايمتنع وقوعها"[٢] ، أى أن الشيخ المفيد يربط بين الاعتقاد بعصمة الأئمة والاعتقاد بالرجعة ، ولقد اعتقدت بها الإمامية نظراً لصلتها بنظرية الإمامة عندهم.

١٢- <u>الأخرويات عند المفيد بن النعمان</u> :

---

[2] الشيخ المفيد : أوائل المقالات – ص ٥٧ ، ٩٠.

[1] المصدر السابق : ص ٥٨ وما بعدها.

[2] نفس المصدر : ص ٨٤ وما بعدها.

من المعلوم أن الأخرويات من المباحث السمعية التى لامجال للنظر الفلسفى فيها إلاَّ أن من الباحثين من يكشف عن وجود جوانب عقلية برهانية وجدلية فى موضوع الأخرويات وأن أصول السمعيات المتعلقة بالأخرويات لابد أن تكون عقلية وفقاً لما ذهب إليه فخر الدين الرازى ومن قبله المعتزلة وبعض الفرق الكلامية الإسلامية كالزيدية من الشيعة من أن العقل سابق على السمع أسبقية الأصل على الفرع[١] والإيمان باليوم الآخر فى الإسلام جزءً لايتجزأ من الإيمان بالدين والعقيدة الإسلامية ، وتُعد ركناً أصيلاً من أركان العقيدة الإسلامية لما ورد من آيات كثيرة تفيد ذلك.

وما يعنينا هنا موقف الشيخ المفيد بن النعمان من القضايا الكلامية لمشكلة الأخرويات وينقسم الحديث فى ذلك إلى قسمين :-

الأول : عن أصحاب القبور[٢].

والثانى: عن أهل الآخرة[٣].

وعن **القسم الأول** يُفصل الشيخ المفيد القول فى نزول الملكين على أصحاب القبور ومساءلتهما عن الاعتقاد ، ويقول إن ذلك صحيح وعليه إجماع الشيعة الإمامية وأصحاب الحديث ، وتفسير مجمله أن الله تعالى ينزل على من يريد تنعيمه بعد الموت ملكين اسمهما **مبشر وبشير** فيسألانه عن ربه جلت

---

(1) انظر تصدير د. أحمد صبحى لكتاب عقيدة البعث والآخرة فى الفكر الإسلامى للدكتور / محمد أحمد عبد القادر – ص٧ وما بعدها.

(2) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٥٦.

(3) المصدر السابق : ص ٦٢ ، ٦٣.

عظمته وعن نبيه ووليه فيجيبهما بالحق الذى فارق الدنيا على اعتقاده والصواب ، ويكون الغرض فى مسائلتهما استخراج العلامة بما يستحق من النعيم فيجد أنها حسنة فى الجواب ، وينزل جل جلاله على من يريد تعذيبه فى البرزخ ملكين اسمهما **ناكر ونكير** فيوكلهما بعذابه ، ويكون الغرض من مساءلتهما له استخراج علامة استحقاقه من العذاب بما يظهر من جوابه من التلجلج عن الحق أو الخير عن سوء الاعتقاد أو إيلامه وعجزه عن الجواب ولاينزل الملكان من أصحاب القبور بعد الموت لما وصفناه[١] ، ومن هنا يؤكد الشيخ المفيد أن هذا هو مذهب متكلمى الإمامية ولاخلاف فى ذلك مع بقية الفرق والمذاهب الإسلامية.

أما قوله فى تنعيم أصحاب القبور وتعذيبهم فمن المعلوم أن مسألة عذاب القبر تمثل واحدة من تلك المسائل السمعية المتعلقة باليوم الآخر[٢] ومن هنا نجد الشيخ المفيد يطرح تساؤلاً مفاده : على أى شىء يكون الثواب لهم والعقاب عليهم ، ومن أى وجه يصل إليهم ذلك ، وكيف تكون صورهم فى تلك الأحوال ؟ ويجيب قائلاً : إن الله تعالى يجعل لهم أجساما كأجسامهم فى دار الدنيا يُنَعم مؤمنوهم فيها ويُعذب كفارهم وفساقهم فيها دون أجسامهم التى فى القبور يشاهدها الناظرون تتفرق وتندرس وتبلىعلى مرور الأوقات والأزمنة وينالهم ذلك فى غير أماكنهم من القبور ، ويستمر هذا على مذهب المفيد – فى النفس ومعنى الإنسان المُكلف هو الشىء المُحدث القائم بنفسه الخارج عن

---

[1] المصدر السابق : ص ٥٦ وما بعدها.

[2] د. محمد أحمد عبد القادر : عقيدة البعث – ص ٢٠٣.

صفات الجواهر والأعراض – كما سيأتى عن الحديث فى لطيف الكلام – ويقرر المفيد أنه لايعرف لمتكلم من الإمامية قبله أتى بمذهب ليحكيه ولايعلم أن بينه وبين فقهاء الإمامية وأصحاب الحديث أى اختلاف. أما عن **القسم الثانى** وهو القول فى أهل الآخرة وهل هم مأمورون أو غير مأمورين ؟ فيقول المفيد إن أهل الآخرة مأمورون بعقولهم بالسداد ويحسن لهم ما حسن لهم فى دار الدنيا من الرشاد وإن القلوب لاتنفك عما هى عليه الآن ولاتتغير عن حقيقتها على كل حال ، وهذا مذهب متكلمى أهل بغداد ويخالف فيه البصريون ومن ذكرهم من الفرق . أما أهل الآخرة وهل هم مكلفون أو غير مكلفين ؟ فما ذهب إليه المفيد يلزمه بداية فى أن أهل الآخرة مأمورون بالعقل وبالتالى فهم مكلفون ويذهب إلى أن أهل الآخرة صنفان :-

أ – **صنف منهم فى الجنة** وهم فيها مأمورون بما يؤثرون ويخف عن طباعهم ويميلون إليه ولايثقل عليهم من شكر المنعم سبحانه وتعظيمه وحمده على تفضله عليهم وإحسانه إليهم وما أشبه ذلك من الأفعال وليس الأمور لهم بما وصفناه إذا كانت الحال فيه ما ذكرناه لأن التكليف إنما هو إلزام ما يثقل على الطباع ويلحق بفعله المشاق[1] ، ويقول الله تعالى :" لايكلف الله نفساً إلاَّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ..."[2].

ب- **والصنف الآخر فى النار** ، وهم من العذاب وكُلفه ومشاقه وآلامه على ما لايحصى من أصناف التكليف للأعمال ولايتعرون من الأمر والنهى بعقولهم

---

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٦٢.

[2] سورة البقرة : جزء من آية ٢٨٦.

حسب ما شرحناه ومن هنا يقرر الشيخ المفيد أن صنفى أهل الآخرة إما فى الجنة وإما فى النار عارضاً لنا مذهب الإمامية الذى يتوافق مع ما ذهب إليه أهل السُنة والجماعة ، وأن أهل الجنة مستغنون عن فعل القبيح ، وأن أهل النار قد يقع منهم القبيح على غير العناد لأنهم كذبوا بآيات الله تعالى والكذب قبيح والصدق حسن.

ويتابع الشيخ المفيد عرض تساؤلاته فيما يختص بأهل الآخرة وهل هم مختارون لافعالهم أم مضطرون أم ملجئون على ما يذهب إليه أهل الخلاف ؟ وهل يقع منهم قبيح من الأفعال ؟ يقرر المفيد أن أهل الآخرة مختارون لما يقع منهم من الأفعال وليسوا مضطرين ولاملجئين وإن كان لايقع منهم الكفر والعناد ، وإن الذى يرفع توهم وقوع الفساد منهم وقوع دواعيهم إليه لا ما ذهب إليه من خالف فى ذلك من الإلجاء والاضطرار وهو مذهب متكلمى البغداديين ، وكان أبو الهذيل العلاف المعتزلى يذهب إلى أن أهل الآخرة مضطرون إلى الأفعال والجبائى وابنه يزعمان أنهما ملجئون إلى الأعمال[1] فإذا وقع فعل قبيح استحق فاعله النار ، وإذا وقع فعل حسن استحق فاعله الجنة ، ونعيم أهل الجنة لدى المفيد على ضربين فضرب منه تفضل محض لا يتضمن شيئاً من الثواب والضرب الآخر تفضل من جهة وثواب من أخرى وليس فى نعيم أهل الجنة ثواب وليس بتفضل على شىء من الوجوه فأما التفضل منه المحض فهو ما يتنعم به الأطفال والبله والبهائم إذ ليس لهؤلاء تكليف ولاعقل ، وتنعيم المكلفين تفضلاً عليهم لأنهم لو منعوها ما كانوا مظلومين إذ ما سلف الله تعالى عندهم

---

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٣.

من نعمه وفضله وإحسانه يوجب عليهم أداء شكره وطاعته وترك معصيته ، ويتفق الإمامية والمعتزلة فى ذلك ويخالف فيه البصريون من المعتزلة والجهمية ومن اتبعهم من المجبرة[٢] .

- **القول فى خلق الجنة والنار** :

يقول الشيخ المفيد إن الجنة والنار مخلوقتان وبذلك جاءت الأخبار وعليه إجماع أهل الشرع والآثار ، وقد خالف فى هذا القول المعتزلة والخوارج وطائفة من الزيدية واختلفوا فى الاعتلال فقال أبو هاشم الجبائى إن ذلك محال لأنه لابد من فناء العالم قبل نشره وفناء بعض الأجسام فناء لسائرها ، وقد انعقد الإجماع على أن الله تعالى لايفنى الجنة والنار وقال الآخرون وهم المتقدمون لأبى هاشم إن خلقهما فى هذا الوقت عبث ولامعنى له والله تعالى لايعبث فى فعله ولايقع منه الفساد[١].

- **القول فى الصراط والميزان** :

يذكر الشيخ المفيد أن الصراط جسر بين الجنة والنار تثبت عليه أقدام المؤمنين وتزل عنه أقدام الكفار إلى النار ، وبذلك جاءت أيضاً الأخبار ، وأما الميزان فهو التعديل بين الأعمال والمستحق عليها والمعدلون فى الحكم إذ ذاك هم ولاة الحساب من أئمة آل محمد (ﷺ) وعلى هذا القول إجماع نقلة الحديث

---

[2] المصدر السابق : ص ٧٠ وما بعدها.

[1] نفس المصدر : ص ٦٨.

من أهل الإمامية . وأما متكلموهم من قبل فلم أسمع لهم فى شىء منه كلاماً[٢] والإمامية تعتقد كما يعتقد سائر المسلمين أن الله سبحانه وتعالى يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء والمعاد هو للشخص بعينه وبجسده وروحه وغير ذلك مما فى الشرع ، ويؤمنون بجميع ما فى القرآن والسُنة القطعية من الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والحوض والأعراف والكتاب الذى لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها. وإن الناس مجزيون بأعمالهم فى الآخرة إن خيراً فخير وإن شراً فشر[١] مصداقاً لقول الله تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"[٢].

المبحث الثانى : فى اللطيف من الكلام :

.. ونصل إلى دراسة المبحث الثانى حول أهم الآراء الكلامية والفلسفية للشيخ المفيد ابن النعمان ؛ وهو يمثل فيما يمثل الفلسفة الطبيعية عنده أو ما يطلق عليه طبيعيات المفيد وهى بلاشك تمثل قدراً ضئيلاً من جهود الرجل لايقاس بالنسبة لجليل الكلام وموضوعاته. وسنركز فى هذه العجالة على أهم العناصر الآتية :-

١- **الجواهر والأعراض :**

وما يتفرع عنها من الأجسام وحركتها وغير ذلك من المسائل اللطيفة والجواهرعند المفيد بن النعمان هى الأجزاء التى تتألف منها الأجسام ولايجوز على كل واحد من نفسه الانقسام . وعلى هذا القول أهل التوحيد كافة وبعض

---

[2] نفس المصدر : ص ٥٧.

[1] آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها – ص ٨٩.

[2] سورة الزلزلة : الآيتان ٧ ، ٨.

المعتزلة ويخالف فيه الملحدون ومن المنتمين إلى الموحدين إبراهيم ابن سيار بن النظام[٣] تلميذ هشام بن الحكم[٤] المُتكلم الشيعى والفيلسوف الإمامى الشهير.

ويطرح لنا المفيد تساؤلاً فى الجواهر أهى متجانسة أم بينها اختلاف ؟ ويقول إن الجواهر متجانسة ، وإنما تختلف بما يختلف من نفسه من الأعراض وإن الجواهر لها قدر فى نفسه وحجم من أجله كان له حيز فى الوجود وذهب إلى ذلك أكثر أهل التوحيد (يقصد بهم الإمامية) وجمهور الموحدين وتكلم المفيد عن حيز الجواهر والأكوان وقال إن كل جوهر له حيز فى الوجود وأنه لايخلو عن عرض يكون به فى بعض المحاذيات أو ما يقدره تقدير ذلك ، وهذا العرض يسميه بعض المتكلمين كوناً وذهب إلى هذا أيضاً أكثر أهل التوحيد[١]. وفى جزئية مايلزم الجواهر من الأعراض يقول المفيد إن كل عرض يصح حلوله فى الجوهر (حلول الأعراض فى الجواهر) ويكون الجوهر محتملاً لموجوده فإنه لايخلو منه أو ما يعقبه من الأعراض ، وهذا مذهب أبى القاسم البلخى وابن على الجبائى (أبى هاشم) وأجاز خلو الجواهر من الألوان والطعوم والروائح ونحو ذلك من الأعراض[٢] ، وكذا يذهب الرازى أثناء عرضه مسائل عن

---

(3) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٦٤.

(4) يراجع فى ذلك : د. النشار : نشأة الفكر – ج٢ – ص٢٤١ وما بعدها.

(1) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٦٤ ، انظر أيضاً : مخطوطة كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد للمحقق الحكيم الطوسى – للحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلىّ تلميذ الشيخ المفيد تحت رقم ١٢٣١٣/٣٤٢٣٨–ج – مكتبة البلدية بالإسكندرية – المقصد الثانى فى الجواهر والأعراض وفيه فصول فى البحث عن الموجودات الممكنة والأجسام الفلكية والعنصرية والأحكام الخاصة بالأجسام والجواهر المجردة – ص١٦٣/١٤٥.

(2) المصدر السابق : ص ٦٥.

الأجسام وأنها بأسرها متماثلة وباقية وغير متداخلة خلافاً للنّظام المعتزلى ، وأنه يجوز خلوها من الألوان والطعوم والروائح خلافاً للأشاعرة وهى مرئية خلافاً للفلاسفة[١] ، ويرى د. أبو ريدة أن الأقوال المنسوبة للفلاسفة المحدثين فيما يختص بالألوان والروائح والطعوم والأصوات وأنها أجسام وليست أعراضاً – هى أقوال المتكلم الشيعى الإمامى هشام بن الحكم والنّظام[٢] المعتزلى مما يدل على مدى الارتباط الوثيق والامتزاج بين التشيع والاعتزال فى تلك الفترة .

وإذا كان الأشعرى يعرض فى مقالاته[٣] مذهب النّظام المعتزلى وأستاذ هشام الإمامى فان ابن حزم أدرك أثر هشام فى النّظام ويرد بأن الضرورة تحتم أن القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم لغيره الذى لايشغل مكاناً فوجب أن يكون الكل واحداً من هذين الجنسين اسمه يعبر عنه ، وقد اصطلح على تسمية القائم بنفسه الشاغل لمكانه **جسماً** وما لايقوم بنفسه **عرضاً**[٤] ، ثم إن الجسم تتعاقب عليه الألوان والجسم قائم بنفسه ونعلم بالضرورة أن الذى عدم وفنى من البياض والخُضرة مثلاً وسائر الألوان هو غير الذى بقى موجوداً لم يفن ، وإنهما غير الشىء الحامل لهما لأنه لو كان شىء من ذلك الأمر لعدم عدمه فدل بقاؤه بعده على أنه غيره ولابد إذاً من المحال الممتنع أن يكون

---

(1) فخر الدين الرازى : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين – ص١٣١/١٣٢.

(2) د. محمد عبد الهادى أبو ريدة ، إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الفلسفية والكلامية– ص٦٦، ٧٧ .

(3) الأشعرى : مقالات الإسلاميين – ج٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣.

(4) ابن حزم : الفِصل – ج٢ – ص٦٥.

الشيء معدوماً موجوداً فى حالة واحدة فى مكان واحد وفى زمان واحد ، فالشيء إما مُعدم وإما موجود.

ويرى أبن حزم ان الأعراض هى الأفعال من الأكل والشرب والمشى والنوم وغير ذلك ، فمن أنكر الأعراض فقد أثبت الفاعلين وأبطل الأفعال وهذا محال .. ويمضى ابن حزم فى حججه معتبراً هشاماً وإبراهيم النّظام سوفسطائيين يتلاعبان بالأسماء والمسميات أو ينكران البداهة والضرورة حين ينكران وجود الأعراض[1].

والشيخ المفيد وهو من تلاميذ هذه المدرسة يقول إن الجواهر مما يصح عليها البقاء وأنها توجد أوقاتاً كثيرة ولاتفنى من العالم إلا بارتفاع البقاء عنها ، وعلى هذه الجملة أكثر الموحدين وإليها يذهب أبو القاسم البلخى ويخالف فيما ذكره من سبب فنائها والجبائى وبنونبخت من الإمامية ومن سلك سبيلهم فى هذا المقام وإبراهيم النّظام يخالف الجميع ويزعم ان الله تعالى يحدد الأجسام ويحدثها حالاً فحالاً ؛ ويذكر المفيد أن الجواهر لاحاجة لها إلى الأماكن من حيث كانت جواهر إلا أن تتحرك أو تسكن فلابد لها فى الحركة والسكون من المكان .. وهنا يربط المفيد بين سكون الجواهر وحركتها وحاجتها إلى المكان حيث إن الحركة تتم فى مكان كما أن الزمان مقياس الحركة ، كما قال أرسطو قديماً فى الفلسفة اليونانية وإخوان الصفا وابن سينا فى الفلسفة الإسلامية وغيرهم كثير ، ويذهب المفيد إلى أن كافة الموحدين يذهبون إلى أن الجواهر فى غنى عن المكان وفى

---

[1] ابن حزم :الفِصل- ج٢ – ص ٧٥/٧٠ ، انظر أيضاً.. د. النشار: نشأة الفكر- ج٢- ص٢٤.

حاجتها إليه عند الحركة والسكون كما ذهب جمهورهم ، ويخالف فى ذلك الجبائى المعتزلى وابنه عبد السلام (أبو هاشم)[٢].

والأجسام عند المفيد هى الجواهر كما قلنا من قبل ، والجواهر عنده تتألف طولاً وعرضاً وعمقاً (أبعاد ثلاثية)وأقل ما تتألف منه الأجسام ثمانية أجزاء اثنان منها كل واحد فوق صاحبه **طولاً** واثنان يليان هذين الاثنين من جهة اليمين واليسار يصير **عرضاً** وأربعة تجاه هذه الأربعة فيحصل بذلك **عمق** وعلى هذا القول ذهب جماعة من المتكلمين. وقد زعم قوم أن الجسم من ستة أجزاء ، وقال آخرون إنه يتألف من أربعة أجزاء ، وذهب قوم إلى أن حقيقة الجسم هو المؤلف وقد يكون ذلك من جزئين ، فالأجسام من نوع مايبقى ، وذكر الشيخ المفيد نفس الشىء فى الجواهر المنفردة والتأليف عنده وكذا سائر الأعراض لاتبقى وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم البلخى وجماعة قبله من البغداديين ، ومن هنا لم يخالف فى بقاء الأجسام أحد من أهل التوحيد (المعتزلة) سوى النّظام فإنه زعم أنها تتجدد حالاً بعد حال ، **والأعراض** عند المفيد هى المعانى المفتقرة فى وجودها إلى المحال ولايجوز على شىء منها البقاء ، ويتفق هنا مع مذهب أكثر البغداديين من المعتزلة وقد خالف فيه البصريون وغيرهم من أهل النحل والآراء[١].

ولقد أورد الرازى (ممثلاً للأشاعرة) اتفاق المتكلمين والفلاسفة على امتناع انتقال الأعراض واتفق الأشاعرة على امتناع بقاء العرض لأن البقاء

---

(2) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٥.

(1) المصدر السابق : ص ٦٦.

صفة فلو بقى العرض لزم قيام العرض بالعرض ولأنه لو صح بقاء العرض لامتنع عدمه ، لأن عدمه بعد البقاء لايجوز أن يكون واجباً وإلاَّ انقلب الشيء من الإمكان الذاتى إلى الامتناع[١] ، ولقد تعرض الشيخ المفيد وهو بصدد مسألة الجواهر والأعراض لمسألة المعدوم أو شيئية المعدوم والمعدوم عنده المنفى الخارج عن صفة الموجود وأنه لاجسم ولاجوهر ولاعرض ولاشيء على الحقيقة ، وإن تسمى بشيء من هذه الأسماء فإنما تسميه به مجازاً وهذا مذهب جماعة من معتزلة بغداد وأصحاب المخلوق(الذين يقولون بخلق العالم) والبلخى يزعم أنه شيء ولايسميه بجسم ولاجوهر ولاعرض والجبائى وابنه يزعمان أن المعدوم شيء وجوهر وعرض والخياط يزعم أنه شيء وعرض وجسم[٢].

أما لدى الأشاعرة فيذهب الرازى إلى وجود المعدوم ويقول : وقد نرى المعدوم موجوداً كالشراب أو كالأشياء التى يريها صاحب خفة اليد والشعبذة ، ونرى المتحرك ساكناً كالظل والساكن متحركاً كراكب السفينة[٣].. إلخ. ولايقال المعدوم المتصَّور له ثبوت فى الذهن ولأن قولنا المعدوم غير متصور حكم على المعدوم بأنه غير متصور والحكم على الشيء يستدعى كون المحكوم عليه

---

(1) الفخر الرازى : اعتقادات فرق المسلمين – ص١١٤ ، ولقد نظر الرازى فى مقدمات الأجسام وعوارضها واوضح فيها مسائل عديدة – انظر .. ص ١١٦ وما بعدها.

(2) المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٦٧.

(3) الفخر الرازى : اعتقادات فرق المسلمين – ص٢٣ وما بعدها.

متصوراً فلو لم يكن المعدوم متصوراً لامتنع الحكم عليه بأنه غير متصور[٤] .. وهكذا .

٢- **في ماهية العالم عند المفيد :**

ويعرف المفيد العالم بأنه السماء والأرض وما بينهما وما فيهما من الجواهر والأعراض – أى أنه ربط بين الجواهر والأعراض والعالم وكذا الأجسام – ويذكر أنه لايعرف بين أهل التوحيد خلافاً فى ذلك ، أى أنه متفق مع المعتزلة ويعرض لنا آراء فى الفلك وحركة الفلك والأرض وهل هى متحركة أو ساكنة ، وفى الخلاء والملاء والمكان والزمان وغير ذلك من لواحق الموجودات الطبيعية فى لطيف الكلام وفلسفته أو فلسفة الطبيعيات وكذا العناصر والمولدات والمتولدات فى الأفعال ويربط كل ذلك بأفعال الله تعالى ، فهو يخلط بين ماهو جليل من الكلام وماهو لطيف من الكلام إلى أن يصل بنا إلى اللطف والصلاح والأصلح والعوض والأرزاق وغير ذلك.

أ – **القول فى الفلك وحركته :**

والمفيد بعد أن عرف العالم ، عرف الفلك بأنه المحيط بالأرض الدائر عليها وفيه الشمس والقمر وسائر النجوم ، والأرض فى وسطه بمنزلة النقطة – فى وسط الدائرة – ويتفق فى ذلك مع أبى القاسم البلخى الذى يتفق معه دائماً

---

(4) المرجع السابق: ص٣٠ ، وفى المعدوم وهل هو ممتنع الثبوت أو ممكن الثبوت وتعطيل قول الفلاسفة والمعتزلة فى المعدومات يراجع ص ٥٥-٥٩ ، انظر أيضاً: تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسى هامش ص ٥٥ وما بعدها .

فى معظم آرائه وكذا جماعة من أهل التوحيد ومذهب أكثر القدماء والمنجمين وقد خالف فيه جماعة من معتزلة البصرة وغيرهم من أهل النحل[1].

أما عن **حركة الفلك** فيذكر المفيد أن المتحرك من الفلك من جهة الإمكان ما اختص منه بالمكان ومن جهة الوجوب ما لاقى الهواء وقطع بحركته المكان ، وأما ما يلى صفحته العليا فإنها لا متحركة ولا ساكنة لأنها فى غير مكان. فالحركة عنده مرتبطة بالمكان ونرى إن هذا تأثير أرسطى/سينوى ، ويقول إن المتحرك منه إنما يتحرك حركة دورية كما تتحرك الدائرة على الكرة ، وهذا تأثير من إخوان الصفا ورسائلهم فى الطبيعيات ، وإلى هذا يذهب البلخى أيضاً وجماعة من الأوائل (يقصد بهم فلاسفة الإسلام الذين تأثروا بالفلسفة الطبيعية عند أرسطو). أما **عن الأرض** وهيئتها وهل هى متحركة أو ساكنة ؟ يذكر المفيد أن الأرض على هيئة الكرة فى وسط الفلك وهى ساكنة لاتتحرك !! وعلة سكونها أنها فى المركز وهو مذهب أبى القاسم البلخى وأكثر القدماء والمنجمين والفلاسفة ، وقد خالف فيه الجبائى وابنه من المعتزلة وغيرها من أهل الآراء والمذاهب من المفكرين والمتكلمين[1] ، وهذا الرأى من المفيد يخالف ما جاء به العلم الحديث من أن الأرض كروية ومتحركة لكننا لانشعر بها.

ب- **الخلاء والملاء والمكان والزمان** :

وهى كلها من المقولات الأرسطية القديمة فى الفلسفة اليونانية ثم هى عند إخوان الصفا وابن سينا من لواحق الموجودات الطبيعية بتأثير أرسطى أيضاً

---

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٧٠ وما بعدها.

[1] المصدر السابق : ص ٧١ وما بعدها.

، ويبنى المفيد رأيه فى هذه الجزئية من منطلق رأيه فى الجواهر ويقول إن العالم مملوء بالجواهر وإنه لا خلاء فيه ولو كان فيه خلاء لما صح فرق بين المجتمع والمتفرق من الجواهر والأجسام وهو مذهب أبى القاسم خاصة – من البغداديين – ومذهب أكثر القدماء من المتكلمين ويخالف فيه الجبائى وابنه من المعتزلة وجماعة من متكلمى الحشوية وأهل الجبر والتشبيه من أمثال حشوية أهل السُنة والحديث والجبرية وهشام بن الحكم ومدرسته الإمامية[١].

ويتضح من ذلك أن المفيد ممن ينكرون الخلاء ، والخلاء عند الرازى (ممثل الأشاعرة) جائز وعند كثير من الفلاسفة خلافاً لأرسطو وأتباعه[٢]. والمراد بالخلاء كون الجسمين بحيث لايتماسان ولايكون بينهما ما يماسانه .. وقالوا : " ولولا ضرورة الخلاء لما بقى الماء فى الهواء معلقاً فى براقة الماء ولما تحرك إلى فوق فى آلات مثل الآلة التى يحدث بها البول من صاحب أسر البول .. "[٣].

أما عن **المكان** وهو عند المفيد ما أحاط بالشىء من جميع جهاته وأنه لايصح تحرك الجواهر إلاَّ فى الأماكن ، ويتفق فيه مع أبى القاسم والبغداديين من المعتزلة وجماعة من قدماء المتكلمين ويخالف فيه الجبائى وابنه وبنى نوبخت وغيرهم[٤].

---

(1) نفس المصدر : ص ٧٢.

(2) الرازى : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين .. – ص ١٣٤ وما بعدها.

(3) الطوسى: تلخيص المحصل بذيل محصل أفكار المتقدمين للرازى – ص١٣٤ وما بعدها.

(4) الشيخ المفيد : أوائل المقالات – ص ٧٦.

أما عن **الوقت والزمان** ، يذكر أن الوقت هو ما جعله الموقت وقتاً للشيء وليس بحادث مخصوص ، والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفلك محتاجاً فى وجوده إلى وقت ولا زمان إلاَّ عند الحركة ، فالزمان مقياس الحركة وعلى هذا القول سائر الموحدين والفلاسفة الطبيعيين وأرسطو قديماً فى اليونان ، وإخوان الصفا وابن سينا فى الإسلام ، أما الأشاعرة فنجد الرازى يقول: إن الحركة فى الملاء الذى نسبة رقته إلى رقة الماء كنسبة زمان الحركة فى الخلاء إلى زمانها فى الماء إنما يقع لا فى زمان إذا لم يكن استحقاقها للزمان لذاتها بل للعائق ، لكن ذلك معلوم الفساد[١].

٣- القول فى الطبائع :

والطبائع جمع طباع ، والطباع معان تحمل الجواهر ويتهيأ بها المحل للانفعال كالبصر وما فيه من الطبيعة التى بها يتهيأ لحلول الحس فيه والإدراك ، وكالسمع والأنف السليم (سلامة الحواس) واللهوات وكذا وجوده فى النار التى تحرق به ، ومن أجله أمكن بها الاحراق والأمر فى ذلك وما أشبهه – كما يقرر الشيخ المفيد – واضح الظهور والبيان[٢].

ويواصل الشيخ المفيد عرضه لفكرة الطبائع ويربط بين الطبع والمطبوع ، ويقول إن ما يتولد بالطبع إنما هو لسببه بالفعل فى المطبوع وإنه لافعل على الحقيقة لشيء من الطباع ، وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم البلخى ، وهو خلاف

---

(1) فخر الدين الرازى : محصل أفكار .. – ص١٣٢.

(2) الشيخ المفيد بن النعمان: أوائل المقالات .. – ص٧٦ وما بعدها.

مذهب المعتزلة فى الطباع وخلاف الفلاسفة الملحدين أيضاً وأهل الحشو وأصحاب المخلوق والإجبار (الجبرية).

والشيخ المفيد أثناء عرضه لقضية تركيب الأجسام من الطبائع واستحالتها إلى العناصر والاسطقسات يقول: إن كثيراً من الموحدين ذهبوا إلى أن الأجسام كلها مركبة من الطبائع الأربعة وهى: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة[1] ، واحتجوا فى ذلك بانحلال كل جسم إليها وبما يشاهدونه من استحالتها كاستحالة الماء إلى بخار والبخار إلى ماء والموات إلى حيوان والحيوان إلى موات ماء --> بخار- بخار --> ماء

موت--> حياة - حياة --> موت

وبوجود النارية ----> نار

وبوجود المائية ----> ماء

وبوجود الهوائية ----> هواء

وبوجود الترابية ----> تراب

تأثير يونانى منذ انباذوقليدس صاحب العناصر الأربعة فى مدرسة الطبيعيين الأوائل.

وذلك فى كل جسم وأنه لاينفك جسم من الأجسام من ذلك ، ولايغفل عن خلافه ولاينحل إلاَّ إليه وهذا ظاهر مكشوف لدى المفيد بن النعمان ولايجد لدفعه أى حجة يعتمدها ولايراه مفسداً لشىء من التوحيد والعدل والوعد والوعيد أو

---

[1] المصدر السابق : ص ٧٧ وما بعدها.

النبوات والشرائع ليطرحه بل هو مؤيد للدين مؤكد لأدلة الله تعالى على ربوبيته وحكمته وتوحيده ، وهنا يتفق تماماً مع المعتزلة وأصولهم وأفكارهم وما دان به من رؤساء متكلميهم وخاصة النّظام.

٤- <u>القول فى التولد بين النفى والإيجاب</u> :

إن من أفعال القادر ما يقع متولداً بأسباب يفعلها على الابتداء من غير توليد لها **<u>كالضارب</u>** بغيره فضربه متولد عن اعتماداته وحركاته وإيلامه للمضروب متولدعن ضربه إياه ، **<u>وكالرامى</u>** لقرصه وغيره من الأجسام **<u>وكالمعتمد</u>** بلسانه فى لهواته فيولد بذلك أصواتاً وكلاماً ما أشبه ذلك.

بتلك الأمثلة وغيرها يناقش الشيخ المفيد مشكلة التوليد أو التولد فالمبتدأ نحو ما ذكره يكون متولداً عن فعل صاحب السبب ، وهذا مذهب أهل العدل كافة سوى النّظام ومن وافقه فى نفى التولد من أهل القدر (القدرية) والإجبار (الجبرية) ، ولكن هل هناك فرق بين الموجب والمتولد ؟

يذهب الشيخ المفيد إلى أن كل متولد فهو موجب وليس كل موجب متولداً والفرق بينهما أن الموجب الذى ليس بمتولد هو مايلى الإرادة بلا فصل بينهما من فعل المريد والموجب المتولد هو ما يلى الذى يلى الإرادة من الأفعال ، واختصر المفيد هذا المذهب – لقوله فى مُحدث الفعل – الذى تسميه الفلاسفة النفس ، والأصل فيه مذهب البلخى ومن ذهب إلى الجمع بين إيجاب الإرادة والتولد من متكلمى بغداد[1]. (أو بمعنى أدق معتزلى بغداد) ونلحظ أن

---

[1] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص٧٧.

المفيد يربط بين القول بالإرادة والقول بالتولد وفعل المريد ، وأن إيجاب الإرادة والتولد يجتمعان فى النفس كمُحدث للفعل ؛ وهذا تأثير – بلا شك – من الفلاسفة على آراء الشيخ المفيد الكلامية والفلسفية.

أ – **<u>أنواع المتولدات من الأفعال</u>** :

يذكر الشيخ المفيد أن الاعتمادات والحركات والمماسات والمتباينات والنظر والاعتقادات والعلوم واللذات والآلام وجميع ذلك يولد أمثاله وخلافه ويذكر أنه ليس واحداً مما ذكره بالتوليد أخص من غيره مما سماه ، وأن الفاعل قد يولد فى غيره علماً بأشياء إذا فعل به أسباب تلك العلوم كالذى يُصيح بالساهى فينفعل به علماً بالصيحة متولداً عن الصيحة به بدلالة أنه لايصح امتناعه من العلم بذلك مع سماع ما بدهه من الصياح وكالضارب لغيره المولد بضربه ألماً فيه ، فإنه يولد فيه علماً بالألم والضرب لاستحالة فقد علمه بالألم فى حاله ، وقد يولد الإنسان فى غيره غماً وسروراً وحزناً وخوفاً بما يورده عليه مما لايمتنع معه من الغم والمسرة والجزع والخوف ولايصح امتناعه منه على كل حال .. وهذا مذهب كثير من البغدادية المعتزلة وخالف وأنكر ذلك النّظام والمجبرة .

ويورد المفيد تساؤلاً مفاده .. هل فى أفعال الله تعالى متولدات أم لا ؟ ونراه يربط بين السبب والمسبب قائلاً : " إن الأمر بالسبب أمر بالمسبب والأمر بالمسبب يقتضى الأمر بالسبب لامحالة وهو أمر به فى المعنى دون اللفظ ، ولاخلاف فى ذلك بين كل من أثبت التولد وأن كثيراً من أفعال الله تعالى مسببات وامتنع من إطلاق لفظ الوصف عليها بأنها متولدات وأن كانت فى

المعنى كذلك لأننى أتبع فيما أطلقه فى صفات الله تعالى وصفات أفعاله – الشرع ولا أبتدع "[١] ، ومن خلال هذا النص يتضح الآتى :-

أ – استبدل المفيد لفظ المسببات بدلاً من المتولدات.

ب–اتبع المفيد فى صفات الله وأفعاله الشرع لا العقل.

ج–الشيخ متبع وليس مبتدعاً أى آثر الإتباع عن الابتداع.

ولقد أطلق المسلمون على كثير من أفعال الله تعالى أنها أسباب ومسببات ولم نجدهم يطلقون لفظ المتولد أو المتولدات ، ومن أطلق منهم هذه الألفاظ لم يتبع فيه حجة فى القول ولا لجأ فيه إلى الكتاب والسُنة والإجماع.

ويقرر المفيد أن قوله فى الأسباب يتفق مع مذهب جماعة من معتزلة بغداد رغم خلاف بعضهم من مثل أبى هاشم الجبائى من بين أهل العدل[٢] وقد قال الله تعالى : " وهو الذى يُرسل الرياح بُشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً .. "[٣].

ويقرر الشيخ المفيد أن الله يجل عن فعل العبث – تعالى علواً كبيراً – وكل خلقه فيه نفع إن لم يكن للإنسان فهو للجن والملائكة والحيوان"[٤].

---

[1] المصدر السابق : ص ٧٧.

[2] نفس المصدر : ص٧٨.

[3] سورة : الأعراف – جزء من آية ٥٧ (وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل على هذا المعنى).

[4] المفيد بن النعمان : أوائل المقالات – ص ٧٩.

ب- <u>القول فى الألم واللذة</u> :

وللمفيد آراء فى الألم واللذة ، ويذكر أنه لو استوى فعل الألم بالحيوان واللذة له فى ألطاف المكلفين ومصالحهم الدينية لما جاز من الحكيم سبحانه وتعالى أن يفعل الألم دون اللذة إذ لا داعى أن يكون إلى فعله حيئنذ إلا العوض عليه ، والقديم سبحانه وتعالى قادر على مثل العوض تفضلاً وكان الأولى فى جوده ورأفته أن يفعل اللذة لشرفها ولايفعل الألم وقد ساوى ماهو أشرف منه فى المصلحة ، وهذا مذهب كثير من أهل العدل وخالف فيه فريق منهم والمجبرة بأسرهم ، وفى القول فى الألم للمصلحة دون العوض يقرر المفيد أن العوض على الألم لمن يستصلح به غيره مستحق على الله تعالى فى العدل ، وعدم التعويض ظلم " ولهذا قلت إن إيلام الكافر لايستحق عليه عوضاً لأنه لايقع إلا عقاباً له واستصلاحاً له فى نفسه وإن جاز أن يصلح به غيره ، وهذا مذهب من نفى الإحباط من أهل العدل والإرجاء وعلى خلافه ذهب البغداديون من المعتزلة والبصريون وسائر المجبرة " [1].

وتحدث المفيد عن تعويض البهائم واقتصاص بعضها من بعض قائلاً : " إنه واجب فى جود الله تعالى وكرمه تعويض البهائم على ما أصابها من الآلام فى دار الدنيا سواء كان ذلك الألم من فعله جل اسمه أم من فعل غيره لأنه إنما خلقها لمنفعتها فلو حرمها العوض على ألمها لكان قد خلقها لمضرتها والله يجل عن خلق شىء لمضرته وإيلامه لغير نفع يوصله إليه لأن ذلك لايقع إلا من

---

[1] المصدر السابق : ص ٨٠.

سفيه ظالم والله سبحانه عدل حكيم كريم عالم . فأما الاقتصاص منها فغير جائز لأنها غير مكلفة ولامأمورة ولا عالمة بقبح القبيح والقصاص ضرب من العقوبة وليس بحكيم من عاقب غير مُكلف.."[1] .

تلك هى أهم آراء المفيد بن النعمان فى الطبيعيات أو لطيف الكلام ونلحظ أنه بقدر ما أفاض فى الإلهيات أو جليل الكلام فإنه اختصر القول فى الأمور الطبيعية .

ومن هنا نرى أنه مزج الأمور الإلهية بالأمور الطبيعية واستقام ذلك مع نهجه ومذهبه فى امتزاج التشيع بالاعتزال.

****

[1] نفس المصدر : ص ٨٢.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

الخاتمة وأهم نتائج البحث :

لقد كان الشيخ المفيد بن النعمان المؤسس الأول لمدرسة أهل البيت فى ثوبها الجديد لأن الجهود قبله كانت جهوداً فردية ، وتبلورت فيما بعد عقائد الامامية الإثنى عشرية وتطور الفكر الشيعى فى أكمل صوره ، كما أنه يعد من ألمع أعلام فقهاء الحوزة العلمية ببغداد ، وتفرغ للفلسفة والكلام وكان يحضر دروسه آلاف الطلاب من الشيعة والسُنة على السواء ، وأثبت شيوخ الامامية المتأخرون من خلال كتاباتهم المتعددة إن هناك آراء كلامية وفلسفية اعتزالية تبناها مجتهدو الامامية حين وجدت المعتزلة ملجأً فى الشيعة ورجالها واختلطت

عقائدهم بعضها بالبعض ، والبحث يؤكد على هذه الجزئية من خلال دراسة آراء الشيخ المفيد بن النعمان الكلامية والفلسفية والذى لعب دوراً هاماً فى تشكيل المرحلة المعتزلية فى العقائد الشيعية ، أو تكوين الاعتزال المتشيع.

وختاماً لهذه الدراسة التى قسمتها إلى مبحثين : فى جليل الكلام ولطيف الكلام يمكن لنا أن نعرض لأهم النتائج التى توصلت إليها :-

١- أفاض الشيخ المفيد فى مسائل جليل الكلام وفيما أجتباه من الأصول الاعتقادية وخاصة من المذاهب المتفرعة عن أصلى التوحيد والعدل وهى من أصول المعتزلة الخمسة وربط المفيد عقيدة التوحيد بالصفات وشرح لنا عقيدة التشيع فى التوحيد ودعمها بالدليل القاطع ورد على الخصوم وفند المسائل الفلسفية والكلامية بمنطق العقل والتفكير الحر وتجاوز حرفية النصوص إلى العقل وجعل من العقل حليفاً للنصوص الدينية وأساساً للعقيدة الإسلامية مثله مثل أى معتزلى ، والشيعة الامامية يتفقون مع المعتزلة فى مسألتى التوحيد والعدل ويخالفونهم فى الثلاثة الباقية من أصولهم الخمسة ، ويقولون فى مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بما تقوله الأشاعرة وينفردون عن المعتزلة والأشاعرة معاً فى مسألة الوعد والوعيد حيث ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى يفى بالوعد ولايجب عليه الوفاء بالوعيد ، فله أن يعفو عن المذنب ولايحق له بحكم العقل أن يخلف وعده مع المحسن .

٢- الشيخ المفيد ينتقد الإمام أبا الحسن الأشعرى وأهل التشبيه من أجل التنزيه المطلق متفقاً مع المعتزلة فى التوحيد والصفات ، وأفرد لنا ما كان مستحقاً

للوصف بأنه تعالى عالم/حى/قادر/سميع/بصير/متكلم/مريد ويقرر إن الامامية أتفقت على أن العقل محتاج فى علمه إلى السمع ، وأن عامة المعتزلة يتفقون مع الامامية على ضرورة العقل أولاً ثم السمع والمفيد يقرر أيضاً أن الامامية تتفق مع الزيدية فى أن العقل ليس هو مناط التكليف الوحيد مع أنه قد يصل إلى الحسن والقبح فى الأشياء ولكن مناط التكليف هو السمع وأن فكرة وجوب الأصلح على الله تعالى صادفت هوى لدى الامامية المتأخرة ومنهم المفيد وتلاميذه ولكن الزيدية ترفضها.

٣- تحدث المفيد عن سمة التشيع ومن يستحقها ومن يخرج عنها ، وإنها وجبت للامامية والزيدية الجارودية من بين سائر فرق الأمة لانتظامهم بمعناها ، كما أكد على أن من يستحق أسم التشيع ويغلب عليه من دان بإمامة أمير المؤمنين علىَّ (كرم الله وجهه) وإن ضم إلى ذلك من الاعتقاد ما ينكره كثير من الشيعة الامامية ويأباه ، وكذلك ضرار بن عمرو كان معتزلياً وإن دان بالمخلوق والماهية على خلاف جمهور أهل الاعتزال وكذا كان هشام بن الحكم شيعياً وإن خالف الشيعة كافة فى أسماء الله تعالى وما ذهب إليه فى معانى الصفات وفكرة الجسم وغير ذلك.

٤- يذهب المفيد بن النعمان إلى أن كلام الله محدث وأن القرآن كلام الله ووحيه ويمنع من إطلاق القول عليه بأنه مخلوق متفقاً فى ذلك مع جمهور معتزلة بغداد وكثير من المرجئة والزيدية من الشيعة .

٥- يقرر أن الله تعالى مريد من جهة السمع والتسليم على حسب ما جاء فى القرآن الكريم (نقل) ولايوجب ذلك من جهة (العقل) !! ويذهب إلى أن إرادة

الله تعالى لأفعاله هى نفس أفعاله وارادته لأفعال خلقه أمره بالافعال. وهنا يربط المفيد الأمر بالارادة ، وذهب إلى ذلك معتزلة بغداد وخالف فيه معتزلة البصرة ، والارادة لديه قصد لإيجاد أحد الضدين الخاطرين ببال المريد ومحال عنده تعلق الارادة بالموجود لأنها تعلق بالمراد.

٦- وبخصوص مسألة خلق أفعال العباد يكره الشيخ المفيد إطلاق لفظ خالق على أحد من العباد حيث أن الخلق يفعلون ويحدثون ويخترعون ويصنعون ويكتسبون ولايطلق عليهم القول بأنهم يخلقون ولا لافعالهم خالقون ، ويقرر المفيد تحت باب القول فى العدل والخلق بعد نفى خلق أفعال العباد عن الله تعالى – إن جمهور الامامية والمعتزلة ذهبوا إلى ذلك وخالفهم جمهور أهل السُنة والجماعة.

٧- وفى القول فيما يدرك بالحواس ، وهل العلم به من فعل الله تعالى أو فعل العباد ؟ يقرر المفيد أن العلم بالحواس على ثلاثة ضروب:-

الأول: **من فعل الله تعالى** فهو ما حصل للعالم به عن الله تعالى كعلمه بصوت الرعد ولون البرق ووجود الحر والبرد وأصوات الرياح وما أشبه ذلك مما يبدو للحاس من غير أن يعتمل لأحساسه ويكون سبب من الله سبحانه وليس للعباد فيه إختيار .

الثانى:**من فعل الحاس** فهو ما حصل له عقيب فتح بصره أو الإصغاء بأذنه أو الاعتمال لأحساسه بشىء من حواسه أو بفعله السبب الموجب لأحساس المحسوس وحصول العلم به .

الثالث:من فعل غير الحاس من العباد فهو ما حصل للحاس بسبب من بعض العباد كالصائح بغيره وهو غير مستخدم لسماعه أو المؤلم له فلا يمتنع من العلم بالألم عند إيلامه وما أشبه ذلك ، وهذا مذهب جمهور المتكلمين من أهل بغداد ويخالف فيه البعض.

٨- يطلق الشيخ المفيد على أصحاب العدل (العدلية) الذين قالوا إن الحاكم فى وجوب معرفة الصانع ووجوب النظر فى المعجزة لمعرفة الأنبياء عن طريق العقل لا الشرع ولا السمع وإن العقل يستقل بحسن بعض الأفعال وقبح بعضها الآخر ، فالحسن والقبح عقليان إتفاقاً مع المعتزلة . والعدلية من الشيعة الإمامية لدى الشيخ المفيد هم أصحاب الاعتزال المتشيع ومن ذهب إلى العدل من المعتزلة والقول بالعدل وتنزيه البارى عن فعل الظلم والقبح يشترك فيه الامامية والمعتزلة.

٩- يذهب الشيخ المفيد إلى أنه لايصح رؤية الله تعالى بالابصار وبذلك شهد العقل والنقل ونطق به القرآن وتواتر الخبر عن أئمة الهدى ، والمعتزلة استخدمت التأويل العقلى بما يتفق ومذهبهم فى إنكار الرؤية أما أهل السُنة فنجدهم يعتقدون أن رؤية الله تعالى واجبة سمعاً وجائزة عقلاً ، فإذا كان جمهور قدماء الامامية يثبتون الرؤية فإن جمهور متأخريهم ينفونها كما يذهب إلى ذلك ابن تيمية ، ومن المتأخرين المفيد وتلميذه العلاَّمة الحلىَّ والمرتضى وهم ممن نقدهم ابن تيمية فى مؤلفاته ، ولقد أفرد المفيد أبواباً فى رؤية المحتضرين للرسول (ﷺ) وأمير المؤمنين علىَّ (كرم الله وجهه)عند الوفاه ويقرر أن معنى رؤية المحتضر هو العلم بثمرة الولاية.

١٠- قسم المفيد بن النعمان أحوال طبقات المكلفين وأحكامهم إلى أربعة :-

أ – طبقة مع الأولياء فى الجنان .

ب- طبقة يلحقون بالأئمة .

ج- طبقة يقف فيهم شاكاً فى حياتهم أو حال موتهم ولعلهم الفساق .

د- طبقة لايحيون بعد الموت حتى النشور والمآب .

١١- تحدث المفيد عن التوبة وحقيقتها وهى الندم على ما فات وشرطها العزم على ترك المعاودة إلى مثل ذلك ورد مظالم العباد ، وكانت له آراء سديدة فى الوعد والوعيد والشفاعة ، وفصل القول فيما بين الإسلام والإيمان وأن كل مؤمن فهو مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، فالإيمان أوسع دائرة من الإسلام وقد تحدث المفيد عن الأعمال الصالحة والمعرفة الوقتية الحالَّة فى زمان واستحقاق الثواب وأطلق عليها (الموفاة) وأن فرائض الله تؤدى بالطاعات فى حدودها ، وقد أفاض فى مسائل فقهية أصولية وقرر أنه لاكفر حيث وجود معرفة ولاطاعة مع وجود جحد.

١٢- أما عن مسألة القول فى القرآن وما قيل عنه سواء فى التأليف أو الزيادة أو النقصان ونظراً لخطورتها على العقيدة فتوقفت كثيراً عندها وذلك من خلال تحليل نصوص الشيخ المفيد وخلاصة رأيه فى التأليف إن الأئمة خالفوا فى كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه ، وهنا يختلف المعتزلة عن الامامية أما الزيادة فيه والنقصان فيقرر المفيد إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه

من الحذف والنقصان ، ويعود ويقول إن الموجود (فى القرآن) يقضى فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم ، ومن عرف الناسخ والمنسوخ والمكى والمدنى لم يرتب بما ذكرناه . إذن لاشك ولاريبة بخصوص هذه الجزئية . أما النقصان (من القرآن) فإن العقول لاتحيله ولاتمنع من وقوعه ، ويؤكد أن الامامية الحقة يقولون إنه لم ينقص من القرآن كلمة ولا آية ولا سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً فى مصحف أمير المؤمنين (مصحف فاطمة) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة التنزيل ، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً !! ولاتوافق ما ذهب إليه المفيد فى هذه الجزئية حيث أن القرآن الكريم هو الكتاب الذى أنزله الله على سيدنا محمد (ﷺ) ، وكيف يمكن لنا أن نقبل تسمية المفيد تأويل القرآن قرآناً ؟! أما الزيادة (فى القرآن) فمقطوع على فساده ، ويميل المفيد إلى عدم تحريف القرآن متفقاً مع عقيدة الشيعة الامامية المعتدلة فى أن القرآن الكريم هو الوحى الإلهى المنزل على لسان نبيه (ﷺ) وأن فيه تبيان كل شىء وهو معجزته الخالدة التى أعجزت البشر عن مجاراتها فى البلاغة والفصاحة وفيما أحتوى من حقائق ومعارف عاليه لايعتريه التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان ومن هنا أجمع علماء الامامية قديمهم وحديثهم على عدم التحريف إلاَّ من شذ منهم ، أما النسخ فى القرآن عند المفيد فهو نسخ ما تتضمنه من الأحكام وليس هو رفع أعيان المنزل منه كما ذهب إليه كثير من أهل الخلاف ويوضح لنا المفيد أن القرآن ينسخ بعضه بعضاً .

١٣- مسألة الإمامة – الأصل الرابع عند الامامية – الزائد عن أصول أهل السُنة والجماعة وهى من أبرز المسائل الخلافية بين المسلمين وإن أول

خلاف نشأ فى الإسلام كان فى مسألة الإمامة ، وهى عند المفيد رياسة الدين والدنيا ومنصب إلهى أختاره الله بسابق علمه ويأمر النبى (ﷺ) بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم بأتباعه ، وهى عند الإمامية بمنزلة النبوة والشيخ المفيد يصرح على كفر من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجب الله تعالى له من فرض طاعته والنص عليه !! وقالت الامامية الإثنى عشرية بالنص الجلى والزيدية بالنص الخفى ، وكما أن النبوة لطف من الله كذلك الإمامة والنبوة لطف خاص والإمامة لطف عام وذلك خلافاً لما يذهب إليه أهل السُنة والجماعة. والإمام عندهم معصوم من الخطأ وهو صاحب السلطة خلافاً للأشاعرة وينسب إليه العلم الإلهى وهو علم سرى فى كتب وجوامع الجفر كما أنه مصدر الأحكام وكل ما يمس الحلال والحرام ، وانتهى مجتهدو الامامية إلى القول تحت تأثير معتزلى – إلى إن العصمة هى أمر يوجده الله للإمام لطفاً منه فيهديه إلى الطاعة فلا يقدم على المعصية ، وأن الإمام بالنص والعصمة بالصفوة.

وأفرد الشيخ المفيد لبعض المبادئ والعقائد التابعة لمشكلة الامامة من مثل : البداء والتقية والرجعة وغير ذلك حيث يربط بين الاعتقاد بعصمة الأئمة والاعتقاد بالرجعة ونسق مذهب الرجعة عند الامامية يخالف تماماً نسقها عند أهل السُنة والجماعة كما أن مرتكب الكبيرة لايذهب عنه اسم الإيمان ولااسم الإسلام بل بعذب حيناً من الدهر ثم مرده إلى الجنة.

١٤- أما عن الأخرويات والتى تعتبر من المباحث السمعية التى لامجال للنظر الفلسفى فيها كان موقف الشيخ المفيد محدداً ونابعاً عن أصلين :

الأول :عن اصحاب القبور وسؤال مبشر وبشير وناكر ونكير .

والثانى:عن أهل الأخرة ، وأثبت أنهم مأمورين بعقولهم بالسداد ويحسن لهم ما حسن لهم فى دار الدنيا من الرشاد. وصنفهم ما بين الجنة والنار ، ويؤكد أن الجنة والنار مخلوقتان وأن الصراط جسر بين الجنة والنار تثبت عليه أقدام المؤمنين وتذل عنه أقدام الكفار إلى النار ، وإن الميزان هو التعديل بين الأعمال ، وإن المعاد للشخص نفسه بجسده وروحه .

١٥- وخلال عرضنا للمبحث الثانى (فى لطيف الكلام) نجد الشيخ المفيد يوجز القول فى الجواهر والأعراض وما يتفرع عنهما من الأجسام وحركتها وغير ذلك من المسائل اللطيفة ، والجواهر لديه متجانسة ولها قدر من نفسها وحجم من أجلها وله حيز فى الوجود ، وتحدث الشيخ المفيد عن حيز الجواهر والأكوان ونلحظ تأثره بمذهب أبى القاسم البلخى وأبوعلى الجبائى من المعتزلة مخالفاً للاشاعرة ، كما تحدث عن الأجسام التى هى الجواهر وهى تتألف من الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق .

١٦- تحدث المفيد عن ماهية العالم وهى السماء والأرض وما بينهما وما فيهما من الجواهر والاعراض متفقاً فى ذلك مع المعتزلة ، ويعرض لنا آراء فى الفلك وحركة الأفلاك والأرض وفى الخلاء والملاء والمكان والزمان وغير ذلك من لواحق الموجودات الطبيعية فى لطيف الكلام وفلسفته .

١٧- وأخيراً نجده يخلط بين ماهو جليل من الكلام وماهو لطيف من الكلام إلى أن يصل بنا إلى مسائل اللطف والصلاح والأصلح والعوض والأرزاق

وغير ذلك ، ولقد أفاض فى الإلهيات (جليل الكلام) وأختصر القول فى الأمور الطبيعية (لطيف الكلام) ومزج بين الأمور الإلهية والأمور الطبيعية حتى يستقيم ذلك مع نهجه ومذهبه فى امتزاج التشيع بالاعتزال لعله يجد فى المعتزلة لمحات فلسفية أكثر منها فى التشيع.

ولايقف التقارب والامتزاج بين الاعتزل والتشيع الامامى فى تسرب تصورات اعتزاليه إلى عقيدة الامامية كسلاح عقلى للدفاع عنها وإنما تبنى متكلمو الشيعة الامامية المتأخرون – والشيخ المفيد بن النعمان منهم – أغلب مفاهيم الاعتزال المتعلقة بأصلى التوحيد والعدل ، وهى التى اجتباها فى مؤلفاته ، فذهبوا فى فهم التوحيد مذهباً معتزلياً محضاً ، كما تبنوا نظريات اللطف الإلهى ووجوب فعل الأصلح على الله تعالى وغائية أفعال الله من حرية إختيار الإنسان ، بل اعلنوا لانفسهم أصولاً خمسة على غرار منهج المعتزلة بعد أن اقتبسوا منها الأصلين الأولين : التوحيد والعدل واضافوا إليها: النبوة والإمامة والمعاد ، فكانت تلك هى الصيغة النهائية التى إنتهت إليها عقائد الشيعة الامامية منذ النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى – عصر الشيخ المفيد بن النعمان وتلاميذه. ومدرسته التى تمثل نهاية المرحلة الثالثة من مراحل تطور الفكر الشيعى وأزدهاره ، ومن هنا يبرز اسم من أهم تلاميذ الشيخ المفيد ألا وهو العلامَّة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ (ت ٧٢٦هـ) والذى وضع أجوبة رد الشبهات ونقضها ، ورد العاديات على المذهب الشيعى ، وهذا هو موضوع الفصل الثانى.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر (من مؤلفات الشيخ المفيد بن النعمان) :-

١- أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات – تقديم وتعليق الشيخ فضل الله الزنجانى – نشر مكتبة سروسن – تبريز – إيران – مطبعة الرضائى – الطبعة الأولى–١٣٦٣هـ.

٢- شرح عقائد الصدوق (أو تصحيح الاعتقاد) – تقديم السيد هبة الله الشهرستانى – تصحيح ونشر الحاج عباسقلى (الواعظ الجرندانى) – مطبوع مع أوائل المقالات وتوجد طبعة أخرى – المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف – بغداد – الطبعة الثالثة – ١٩٧٣م.

٣- الارشاد فى تاريخ حجج الله على العباد – دار الكتب الاسلامية – طهران – الطبعة الأولى – ١٣١٢هـ .

٤- الاختصاص – طبعة طهران – الطبعة الأولى – ١٣٧٩هـ .

٥- آمالى الشيخ المفيد – تقديم السيد محمد رضا الحسينى الجلالى – منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف – العراق – الطبعة الأولى – ب.ت.

٦- الفصول المختارة فى العيون والمسائل – حققه د. مصطفى الداورى – نشر مكتبة قُم المقدسة – طهران – ايران – ب.ت ، وهناك طبعة أخرى من جزئين – النجف الأشرف – العراق – ب.ت.

٧- المسائل الصاغائية بتحقيق السيد محمد القاضى – ضمن أعمال المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد – قُم – إيران – الطبعة الأولى – ١٤١٣هـ .

ثانياً: المخطوطات :

١-العلاَّمة الحلىَّ (جمال الدين بن المطهر ..): نهاية الوصول إلى علم الاصول – مخطوطة بدار الكتب المصرية – تحت رقم ٧٣٣٨ – أصول .

٢- ----------:كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد للطوسى – مخطوطة بمكتبة البلدية بالاسكندرية – تحت رقم ١٢٣١٣/٣٤٢٣٨ (المقصد الثالث).

٣- الكلينى (محمد بن يوسف بن يعقوب) : الكافى فى أصول الدين – مخطوطة بدار الكتب المصرية – تحت رقم ٢١٢٢٦ ، نسخة أخرى بمكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ٢١٦١٦/٢٣٦ – فرق إسلامية .

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة إليها :

١- الأشعرى (الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل): مقالات الاسلاميين وإختلاف المصلين بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – جزأن فى مجلد واحد – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٦٩م.

٢- آغا برزك الطهرانى:النابس فى أعلام القرن الخامس – سلسلة طبقات اعلام الشيعة – طبعة طهران – ١٩٥٩م.

٣- الأمين (السيد محسن ..): الشيعة بين الحقائق والأوهام – طبعة بيروت – الطبعة الثالثة – لبنان – ١٩٧٧م.

٤- أمين (أ. احمد ..) : فجر الإسلام – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثالثة عشر – القاهرة – ١٩٨٢م.

٥- ابن تيمية (الإمام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم): مِنهاج السُنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية – ٤ أجزاء – المطبعة الاميرية بمصر –

الطبعة الاولى – ١٩٦٤م (وقد أورد أبن تيمية نصوصاً للعلاَّمة الحلىَّ فى منهاج الكرامة ورد عليها).

٦- الحر العاملى:الفصول المهمة فى أصول الأئمة – طبعة قم – إيران – الطبعة الأولى – ١٣٨١هـ.

٧- ابن حزم (أبو محمد على بن محمد الظاهرى..): الفِصل فى الملل والأهواء والنحل – الطبعة الأدبية – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٣٢١هـ.

٨- الحسينى (السيد هاشم معروف) : عقيدة الشيعة الامامية – منشورات دار الكتاب اللبنانى – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٥٧م.

٩- ---------- : أصول التشيع (عرض ودراسة) – دار القلم ببيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٨١م.

١٠-ابن خلدون (عبد الرحمن ...) : المقدمة – نشر وتحقيق د. على عبد الواحد وافى – طبع المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة – الطبعة الأولى – ب.ت.

١١- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن ابراهيم): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – عدة أجزاء – مطبعة السعادة بمصر – الطبعة الأولى – ١٩٤٨م.

١٢- خليف (د. فتح الله ...) :رؤية الله عند المعتزلة وأهل السُنة – مقال ضمن دراسات فلسفية مهداه إلى د. مدكور – بتصدير د. عثمان أمين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٤م.

١٣- الخوانسارى (الشيخ محمد باقر ..): روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات – ٤ أجزاء – طبعة إيران – ١٣٦٧هـ.

١٤- الدهلوى (شاه غلام عبد العزيز محمد): مختصر التحفة الإثنى عشرية – تعريب الشيخ الحافظ غلام محمد – اختصره علاَّمة العراق شكرى الألوسى– الطبعة الأولى– اسطنبول –ب.ت.

١٥- دونالدسن (دوايت . م ...) : عقيدة الشيعة – ترجمة عباس محمود – مكتبة الخانجى ومطبعتها – القاهرة – ب.ت.

١٦- الرازى (الإمام فخر الدين..) : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٨م.

١٧- ----------: أساس التقديس – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٣٥م.

١٨- ---------- : معالم أصول الدين – مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة – ب.ت.

١٩- ---------- :محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين –وبذيله شرح المحصل للخواجه نصير الدين الطوسى – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى – ب.ت.

٢٠-أبو ريان (د. محمد على .....) :تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – الطبعة الرابعة – ١٩٨٠م.

٢١- أبو ريدة (د. محمد عبد الهادى): إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية – نشر القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٤٦م.

٢٢-الزنجانى (آية الله الحاج ابراهيم الموسوى): عقائد الامامية الإثنى عشرية – ٣ اجزاء – مؤسسة الوفاء – بيروت – الطبعة الاولى – ١٩٨٢م.

٢٣- أبو زهرة (الإمام محمد ..) : الإمام الصادق – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الثانية – ب.ت .

٢٤- ---------- :تاريخ المذاهب الإسلامية – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٥٧م.

٢٥- أبا زيد (د. صابر عبده ..) :العلاَّمة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ بين علم الأصول وعلم الكلام – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – إسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢م.

٢٦- ---------- : شرح القوشجى على تجريد العقائد للطوسى " دراسة وتحقيق "– دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – إسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م.

٢٧- السالوس (د. على أحمد ....) : مع الشيعة الامامية فى الأصول والفروع – دراسة مقارنة فى العقائد – دار التقوى للنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – ١٩٩٧م.

٢٨- الشكعة (د. مصطفى ..) : إسلام بلا مذاهب – الدار المصرية اللبنانية – الطبعة الثالثة عشر – القاهرة – ١٩٩٧م.

٢٩- الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل – ٤ اجزاء – المطبعة الادبية– القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٢٠هـ (بهامش الفِصل لأبن حزم الأندلسى) .

٣٠- أبن شهر آشوب (رشيد الدين محمد بن على) : الرسائل الثلاث ومناقب آل أبى طالب – ثلاثة أجزاء – طبعة النجف – بغداد – الطبعة الأولى – ١٩٥٦م.

٣١- ---------- : معالم العلماء – تحقيق عباس إقبال – طبعة طهران – ١٩٣٤م.

٣٢- صبحى (د. أحمد محمود ..) : نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى – ١٩٦٩م.

٣٣- ---------- : فى علم الكلام – ج١ الأشاعرة ، ج٢ المعتزلة – دار الكتب الجامعية – الطبعة الثانية – إسكندرية– ١٩٧٦م.

٣٤- الصدر (آية الله حسن ....) : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام – طبع وتوزيع شركة النشر والطباعة العراقية – الكاظمية – الطبعة الأولى – ١٩٥١م.

٣٥- الطوسى (الشيخ محمد بن الحسن): الفهرست – طبعة النجف الأشرف – بغداد الطبعة الأولى – ١٩٣٧م.

٣٦- ظهير (إحسان إلهى ..) :الشيعة والتشيع – نشر إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان – الطبعة الأولى – ١٩٨٤م.

٣٧- ---------- :بين الشيعة وأهل السُنة – نشر إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان – الطبعة الأولى – ١٩٨٥م.

٣٨- عبد القادر (د. محمد أحمد ..): عقيدة البعث والآخرة فى الفكر الإسلامى – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٦م.

٣٩- العسقلانى (الإمام ابن حجر ..) : لسان الميزان – ٦ أجزاء – حيدر آباد الدكن – الهند – طبعة أولى – ١٣٣١هـ.

٤٠- الغطاء (الشيخ محمد الحسين آل كاشف): أصل الشيعة وأصولها – مطبعة الإعتماد – بغداد – الطبعة الأولى – ١٣٤٤م.

٤١- فياض (د. عبد الله خليل ..) : تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى – الدار المتحدة للنشر والتوزيع – بغداد – الطبعة الثانية – ١٩٨٣م.

٤٢- القمى (إبن بابويه ..) : كمال الدين وتمام النعمة – طبعة طهران – ج١- الطبعة الأولى – ١٣٩٥هـ .

٤٣- القمى (سعد بن عبد الله الأشعرى): المقالات والفرق – تحقيق د. محمد جواد مشكور – طبعة طهران – ١٩٦٣م.

٤٤- كوربان (المستشرق الفرنسى هنرى..): تاريخ الفلسفة الإسلامية – ترجمة نصير مروة وحسن قبيسى – منشورات عويدات – بيروت – باريس – الطبعة الثالثة – ١٩٨٣م.

٤٥- المرتضى(الشريف على بن الحسين الموسوى): آمالى المرتضى – غرر الفرائد ودرر القلائد – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القسم الأول – دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٥٤م.

٤٦- مغنية (الشيخ محمد جواد ..):الشيعة فى الميزان – دار التعاون للمطبوعات – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٧٩م.

٤٧- ---------- : مع الشيعة الإمامية – منشورات مكتبة الأندلس – بيروت – الطبعة الأولى – ب.ت .

٤٨- ----------: الشيعة والحاكمون – دار ومكتبة الهلال للطبع والنشر – بيروت – الطبعة السادسة – ١٩٨٤م.

٤٩- المظفر (الإمام محمد رضا ..):عقائد الامامية – مطبوعات النجاح – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٨١هـ.

٥٠- المقريزى (الإمام تقى الدين ..):المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية– ٤ أجزاء – طبعة بولاق – مصر – الطبعة الأولى – ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م

٥١- الموسوى (السيد عبد الرسول..):الشيعة فى التاريخ – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢م.

٥٢- موسى (جار الله العراقى ..):الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة – مطبعة الكيلانى – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٨٢م.

٥٣- النجاشى (احمد بن على ..) :رجال النجاشى – طبعة قم – إيران – ١٣٨٠هـ.

٥٤- ابن النديم (محمد بن اسحق..) : الفهرست – طبعة القاهرة – ١٣٤٨هـ .

٥٥- النشار (د. على سامى ..) : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعارف – ج٢ – الطبعة الثالثة – اسكندرية – ١٩٦٥م.

٥٦- النوبختى (الإمام الحسن بن موسى):فرق الشيعة – منشورات دار الأضواء – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٨٤م.

٥٧- الهمدانى (القاضى عبد الجبار المعتزلى..) : شرح الأصول الخمسة بتحقيق د. عبد الكريم عثمان – نشر مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٦٥م.

٥٨- ----------: المُغنى فى أبواب التوحيد والعدل – بتحقيق نخبة من العلماء – نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة – فى عدة سنوات وعدة أجزاء .

ذرابعاً: المعاجم والقواميس والموسوعات :

١- الرازى (الإمام محمد بن أبى بكر ..): مختار الصحاح – عُنى بترتيبه السيد محمود خاطر – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – ب.ت.

٢- عبد الباقى(محمد فؤاد ..) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨٦م.

٣- الفيروز آبادى (مجد الدين ..) : القاموس المحيط – مطبعة دار المأمون – القاهرة – الطبعة الرابعة – ١٩٣٨م.

خامساً: مواقع على الانترنت :

1- http://B.www الشيخ المفيد htm- موقع آل البيت ..

2- http://B.www المفيد بن النعمان htm- موقع يا حسين .

سادساً: المراجع الأجنبية :

1-Ahmed (Akbar .S) : Islam Today , A Short The Muslim World – I.B.Tauris – Publishers – London – New-York – 1999.

2-Cann, Sell : Ithna Ashraiyya, or the Twelve Shi'ah Imams, Madras, 1923.

3-Grune Ban (Von) : Medievial Islam. Chicago. 1956.

4-Gibb(H.A.R) and Karmer(J. H) : Short or Encyclopaedia of Islam, leiden - 1953 .

5-Phillip. K. Hitti, History of the Arabs,- London.- 1953 (Friest Class).

6-Thomas (Patrick. H.) , Dictinary of Islam, - London - 1885.

الفصل الثانى

العلاَّمـة جمال الدين بـن المطهر الحىَّ

بين علم الأصول وعلم الكلام

٠٠ويتضمن هذا الفصل العناصر الآتية :

تقديم عام ٠٠ موضوع الدراسة ٠٠ منهج الدراسة

أولاً: حياته وعصره ومؤلفاته .

ثانياً: ابن المطهر الحلىَّ وعقائد الشيعة (التوحيد والإمامة)

ثالثاً: ابن المطهر الحلىَّ بين الكلام والأصول .

(شرح مقاصد مخطوطة – نهاية الوصول ، علم الأصول)

تقديم عام

اكتملت عقائد المذهب الشيعى الإمامى الإثنى عشرى فى صورتها النهائية الكاملة على يد متأخرى مجتهدى علماء المذهب – ولقد صاغ مجتهدوا الشيعة الإثنى عشرية أصولهم فى أربعة : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة .

وقد أضافوا إلى هذه الأصول أصلاً خامساً – لتتساوى مع عقائد المعتزلة – وهو المعاد ، ويقرر د. النشار أن عالم الشيعة الكبير ابن المطهر الحلىَّ قد فصَّل عقائد الإمامية فى الفقرة الرائعة الآتية : " ذهبت الإمامية الإثنى

عشرية إلى أن الله عدل حكيم لايفعل قبيحاً ولايخل بواجب وان أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وأنه لايفعل الظلم ولا العبث وإنه رؤوف بالعباد يفعل بهم ماهو الأصلح لهم والأنفع وانه تعالى كلفهم تخييراً لا إجباراً ووعدهم الثواب وتوعدهم العقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين بحيث لايجوز عليهم الخطأ والنسيان ولا المعاصى ..."[1]

ومن هنا لانجد أى فرق بين أى متكلم معتزلى وابن المطهر الحلىَّ حين يكتب عن عقائد الشيعة الكلامية فى فترة متأخرة ، ومن هنا أيضاً جاء الإمتزاج بين التشيع والإعتزال ولقد تبنى متكلمو الشيعة المتأخرين كل مفاهيم وتصورات وأصول المعتزلة المتصلة بالعلم الإلهى ، وخاصة أصلى التوحيد والعدل ، فذهبوا إلى فهم مذهبهم بشكل إعتزالى محض ، كما تبنوا أيضاً نظريات اللطف الإلهى ووجوب فعل الاصلح على الله تعالى وغائية الفعل الآلهى فضلاً عن حرية إختيار الإنسان ، وأفاضوا فى مشكلة كلام الله وخلق القرآن .. إلخ

ومن المعلوم ان العلامَّة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ من أكبر متكلمى الشيعة الإثنى عشرية فى فترة متأخرة ، وكان له دوراً بارزاً فى بلورة عقيدتهم بصفة عامة وما يتصل بالالهيات بصفة خاصة . وذلك منذ بداية الغيبة الكبرى سنة ٣٢٩هـ حيث تمت غيبة الإمام الثانى عشر مرتين : غيبة صغرى وغيبة كبرى ، وإستمرت الغيبة الصغرى سبعين سنة كان للإمام المستور

---

[1] ابن المطهر الحلىَّ : منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة ص٧٥ على هامش منهاج السُنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية ج١ – ص٣٠. أنظر أيضاً: د. النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعارف بمصر – الطبعة الثالثة – ١٩٦٥م – ج٢ ، ص٢٨٨.

خلالها أربعة نواب يلى أحدهم الآخر ويتصل الشيعة بواسطتهم حتى أقر أخرهم وهو على الصيمرى برسالة أخيرة جاء فيها : " أن أجمع أمرك ولاتوصى إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية ؛ فكانت كلمات نائبه الأخير : لله شأن هو بالغه "[1].

✍ **<u>وموضوع الفصل</u>** :

يدور حول العلامَّة الحلىَّ بين علم الأصول وعلم الكلام من خلال مصدر من أهم مصادره المخطوطة فى **دراسة تحليلية نقدية** أثناء عرض ما تضمنه كتاب : " نهاية الوصول إلى علم الأصول " من نصوص تحتوى على آراء فقهية وكلامية ومنطقية ونحوية ، وكيف أنه وازن بين علم أصول الفقه (عبادات ومعاملات) وبين علم الكلام ، وإلى أى مدى كان العلامَّة الحلىَّ حريصاً على إستخدام ألفاظ منطقية ومصطلحات كلامية وهو بصدد عرض أى مشكلة أصولية فى إطار علم الكلام ، وهل دلت إستشهاداته على إمتزاج الإعتزال بالتشيع فى هذه الفترة الخصبة فى تطور منحنى الفكر الإسلامى ؟

✍ **<u>منهج الدراسة</u>** :

ومنهج الدراسة يقوم على أساس العرض التحليلى النقدى لأهم موضوعات الكتاب والإستعانة بالكتب الأخرى لجمال الدين بن المطهر الحلىَّ كمصادر أصلية لم يتطرق إليها أحد ، مع الوضع فى الإعتبار إن التعامل مع النص المخطوط يختلف تمام الإختلاف عن التعامل مع نص كتاب مطبوع أو

---

[1] المجلسى : بحار الأنوار – طبعة حجرية – طهران ١٣١٥هـ – ج١ – ص١٠٠.

محقق ، ومن هنا سنقوم بالتدخل أثناء القراءة الأولية لتصحيح كلمة أو تحديث مصطلح أو ما شابه ذلك ليستقيم المعنى ، وتلاحظ لنا أثناء القراءة المتعمقة أن منهج العلامَّة الحلىَّ يحدث فيه أحياناً إضطراباً فيما يتصل بترتيب المقاصد والفصول والمباحث والمطالب .. إلخ ، ومن هنا أيضاً وجدنا صعوبة فى الإمساك بخيط منهجية الكتاب وآثرت قدر الإمكان أن أعدل بعض مقاصد وفصول البحث والدراسة طبقاً للعناوين وتسلسلها المنطقى دون الإخلال بأى معنى أو التدخل لتصحيح أى فكرة عرضها المؤلف للأمانة العلمية ، وكان لزاماً علىّ أن أقوم بتصحيح آيات القرآن الكريم وتخريجها تخريجاً صحيحاً وفصلها عن كلام المؤلف حيث أنه كان يخلط ما بين القرآن والأحاديث وأبيات الشعر أحياناً ، وذلك منعاً للإضطراب واللبس ، وكل هذا ليس من منطلق أن هذا العمل عمل تحقيقى .. لا .. ولكن حتى يظهر الموضوع منسق ومرتب ترتيباً منطقياً بكل عناصره وجزئياته التى أشتملت على الآتى :-

أولاً : حياته وعصره ومؤلفاته ، وسنوضح هنا كيف أثرت آراء العلامَّة وأفكاره فى إمتزاج التشييع بالإعتزال ، ومن عاصرهم من ذوى الفقه وسلاطين هذه الفترة مع التركيز على أهم المؤلفات التى تناولت موضوعى علم الأصول وعلم الكلام.

ثانياً: ابن المطهر الحلىَّ وعقائد الشيعة (الكلامية / الفلسفية / الفقهية / المنطقية) وسنركز هنا على مسألة التوحيد نظراً لورود عقائد فى متن المخطوط إمتزجت فيها علوم الكلام والفلسفة بعلوم الأصول والمنطق واللغة وهذا هو ما يدور حوله البحث .

ثالثاً: ابن المطهر الحلىَّ بين علم أصول الفقه وعلم الكلام ، وهنا سنقوم بالإجابة على الأسئلة الإشكالية التى قدمتها من قبل وأثناء عرض وتحليل ونقد ومقارنة آراء العلامَّة الحلىَّ بآراء معاصريه من فرق إسلامية سواء كانت إمامية / أشاعرة معتزلة أو حتى متكلمين من خلال مقاصد وفصول كتاب نهاية الوصول إلى علم الوصول .

خاتمة وأهم نتائج الفصل.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

****

أولاً : حياته وعصره ومؤلفاته :

ولد الحسن بن يوسف بن على بن جمال الدين بن المطهر الحلىَّ سنة ٦٤٨هـ وهو المشهور بالعلامَّة الحلىَّ (نسبه إلى الحلة) إحدى مراكز الشيعة زمناً طويلاً عندما كانت بغداد تحت سلطان الأمراء من السُنة .

وقد أثرت آراء العلامَّة الحلىَّ وأفكاره فى إمتزاج التشيع بالاعتزال وهو من أشهر المجتهدين فى العهد المغولى[١] ، كما كان خاله هناك نجم الدين جعفر بن يحيى من علماء الشيعة المتأخرين من ذوى الفقه ويتمتع بالنفوذ والسلطان خلال فترة المغول وهو مؤلف كتاب " **شرائع الإسلام** " .

ولقد عاصر العلامَّة الحلىَّ متأخرى الحقبة الثانية والتى تمثل تاريخ الغيبة الكبرى للامام الثانى عشر (حتى عصر نصير الدين الطوسى) وتتسم هذه الحقبة بتشريع وتسنين عقائد الشيعة وبلورتها وظهورها بصورتها النهائية بفضل متكلمى الشيعة البارزين من أمثال: عمر بن يعقوب الكلينى والقمى والشيخ المفيد بن النعمان والطوسى والرضا والمرتضى .. إلخ.

ولقد تناول المستشرقون تاريخ الغيبة الكبرى (٣٢٩هـ/٩٤٠م) بالدرس والتحليل وهى تمثل لدى المستشرق الفرنسى البارز هنرى كوربان نهاية حقبة من حقب الأئمة المعصومين وتلاميذهم فيما بعد[٢].

وهذا التاريخ هو نفسه تاريخ وفاة نائب الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر – على الصيمرى[*]. وبآثار نصير الدين الطوسى تنتهى العقيدة

---

[1] دونالدسن . م. دوايت : عقيدة الشيعة – ترجمة عباس محمود – ص٢٩٥.

[2] هنرى كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية – ترجمة نصير مروة وحسن قبيسى – منشورات عويدات – لبنان – طبعة ثالثة – ١٩٨٣ – ص ١٢٧.

[*]وفى هذه السنة توفى الفقيه الكبير محمد بن يعقوب الكلينى الذى جاء بغداد من الرى (قرب طهران) وهو صاحب المدونة الشيعية الكبرى – الكافى - وتوفى ٣٢٩هـ . أما بخصوص المهدى المنتظر – أنظر فى ذلك : للمؤلف : الإمامية الإثنى عشرية – شخصيات وآراء – دار الحضارة للطباعة والنشر – طنطا – الطبعة الأولى ١٩٩٨م. ص ٢١٣/٢٢٨ (وقد تناولت الأحاديث الواردة فى شأن المهدى وإدعاءات الشيعة الإمامية بمهدية الإمام الثانى عشر –

الشيعية من مرحلة التكوين الأولى إلى النهضة الصفوية فى إيران ؛ وهنا يظهر اسم تلميذ الطوسى وهو العلامَّة جمال الدين بن المطهر الحلىَّ (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) .

- أما **عن مؤلفات** العلامَّة الحلىَّ فهى عديدة منها ماهو مخطوط ومنها ماهو مطبوع ومنها ماهو مفقود ومنحول نذكر بعضها وأهمها ؛ وسنتوقف أمام كتابه " **نهاية الوصول إلى علم الأصول** " بشئ من التفصيل حيث نقوم بعرض منهج تحليلى نقدى مقارن فى دراسة تبرز المباحث الفقهية المتصلة بالمباحث الكلامية والمباحث الكلامية المتصلة بالمباحث المنطقية :-

١- كتاب " الرجال " وهو على غرار رجال الكشى ورجال الطوسى...إلخ.

٢- كتاب " النهاية " وكتاب المبادئ وكتاب الحادى عشر وهى من الكتب المنحولة

٣- كتاب خلاصة الأقوال[١] .

٤- كشف الحق ونهج الصدق.

٥- كشف اليقين فى فضائل أمير المؤمنين .

وطرحت تساؤلات عديدة حول فكرة المهدى المنتظر وإمكان ظهوره علمياً وعملياً ومنطقياً وفلسفياً ، أما على الصيمرى فهو على بن محمد بن زياد الصيمرى صهر جعفر بن محمود الوزير على أبنته ام أحمد ، أحد السفراء الأربعة لدى الشيعة الإمامية وأحد الأئمة فى علوم الآداب واللغة والفقه وسائر علوم الإسلام ، قال المسعودى فى إثبات الوصية وكان رجلاً من وجوه الشيعة وثقاتهم ومقدماً فى الكتابة والأدب والعلم واللغة والمعرفة وقتل فى واسط وكان أيام المستعين الخليفة المخلوع من خُلص الشيعة لآبى محمد العسكرى المهدى المنتظر لديه . (أنظر فى ذلك – السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام – طبع شركة الطبع والنشر العراقية المحدودة – بغداد ١٩٥١م - ص ١٦٥/١٦٦).

[1] وقد طبع هذا الكتاب بطهران ١٣١١هـ (ورد ذكر هذا الكتاب فى فرق الشيعة للشيخ المتكلم الحسن بن موسى النوبختى من أعلام متكلمى الشيعة فى القرن الثالث الهجرى وذكر فى هامش الكتاب انه للعلامَّة الحلىَّ وانه توفى فى عام ٧٢٧هـ) – (راجع فى ذلك ص {ط}).

٦- منهاج الصلاح فى إختصار المصباح.

٧- منهاج اليقين فى أصول الدين .

٨- منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة[٢].

٩- كشف المراد فى شرح تجريد الإعتقاد للنصير الطوسى[٣].

١٠-تذكره الفقهاء (فى ثلاثة مجلدات ضخمة عن الفقه الشيعى).

١١-الألفين الفارق بين الصدق والمين فى التشيع لعلىَّ . وقد طبع فى النجف الأشرف .

١٢-إثبات الوصية للإمام علىَّ [١].

١٣-معارج الفهم فى شرح النظم ، ويذكر العلامَّة الحلىَّ فى موضع آخر من مخطوطة فى غاية الأهمية يتضمن أهم قضايا علم الكلام وعلم الأصول فى أنه قام بإملاء مقدمة فى علم الكلام مشتملة على سائر النكات ووسمها

---

[2] يتألف من عشرة فصول وقد أضيف إليها فصلاً آخر وهو الفصل الحادى عشر من أصول الدين وترجم الكتاب للانجليزية وقامت الجمعية الآسيوية الملكية بطباعته مؤخراً كما يذكر صاحب عقيدة الشيعة (ص٢٩٥) ، ويذكر د. النشار ان هذا الكتاب كتبه العلامَّة الحلىَّ وفيه أخبار هامة عن المذهب ومهاجمة لأعداء الشيعة الإثنى عشرية ، وقد رد على هذا الكتاب عالم السلف الكبير تقى الدين بن تيمية بكتاب مشهور موسوم بمنهاج السُنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية – أنظر د. النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ج١ ص٥٤٨ ، وجدير بالذكر ان مخطوط الكتاب موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٢٩ - فرق .

[3] وقد طبع هذا الكتاب على نفقة مكتبة المحمدى بقم بإيران ، وقد قمت بتصويره بالكامل من نسخة مخطوطة وحيدة بمكتبة البلدية بالاسكندرية تحت رقم ٢١٣١٣ – ج. وتلاحظ لنا الإختلاف الواضح بين شرح العلامَّة الحلىَّ وشرح القوشجى (علاء الدين) والشروح والحواشى المتعددة لكتاب تجريد العقائد لنصير الدين الطوسى . يراجع فى ذلك للمؤلف : من التراث الإسلامى – شرح القوشجى على تجريد العقائد للطوسى – دار دنيا الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – سنة ٢٠٠٢م – اسكندرية – ص ٢٤ وما بعدها.

[1] وقد قام محمد هادى الامينى بتحقيق هذا الكتاب وطبع بالمطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف.

بنظم البراهين فى أصول الدين ، ولما كانت عظيمة الإلتباس مشكلة على أكثر الناس لايكاد يفهمها إلا الأذكياء من أولى الألباب ولايحصلها إلا من ألهمه الله تعالى فى فكره بالصواب ، وقد رأى العلامَّة الحلىَّ أن يملى لها شرحاً لطيفاً يكشف عن أسرارها ويظهر الكامن من أغوارها ، ومن هنا سماها معارج الفهم فى شرح النظم.

١٤-وأخيراً نذكر كتاب نهاية الوصول إلى علم الأصول ، وهذا الكتاب مازال مخطوطاً بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٣٣٨ – علم الأصول – وممهور بخاتم الكتبخانة المصرية وموجود نسخة منها بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة بالرقم السالف الذكر ، ونعتقد أنها صورة ضوئية للأصل وكذا ما يوجد فى مكتبة البلدية بالاسكندرية ، وهذا نص ما جاء بغلاف المخطوط: " .. هذا الكتاب المستطاب المُسمى بنهاية الأصول (من) مصنفات الشيخ المعُظم المُفخم المُطاع المُؤيد المُكرم الفاضل المحقق النحرير المدقق ، عالم عصره ووحيد دهره ، رئيس الفقهاء والأصوليين آية الله فى العالمين جمال الملة والدين حسن بن يوسف ابن مطهر الحلىَّ المشتهر بالعلامَّة أعلى الله مقامه فى دار السلطنة أصفهان ". ثم يورد الناسخ العبارة الآتية :- " ..... وانا المفتقر إلى رحمة ربه محمد بن جعفر بن محمد بن إبراهيم اللهم أرزقنا توفيق مطالعته وفهمه ، بمحمد (ﷺ) وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين[١] ".

---

[1] هذا نص ما جاء فى صدر المخطوط المشار إليه وما بين القوسين (--) من عندنا ليستقيم المعنى . ويتكون المخطوط من ٢٥٢ ورقة أى ما يعادل ٥٠٤ صفحة وتتراوح سطورها ما بين ٢٩ ، ٣٠ سطر بالخط الرقع الصغير ومقسم إلى فصول ومباحث ومقاصد ومسائل . وقد تم تهذيب الكتاب ووسم بـ (تهذيب الوصول إلى عالم الأصول) .

ثانياً: ابن المطهر الحلىَّ وعقائد الشيعة :

من خلال هذا الكم الهائل من مؤلفات العلامَّة الحلىَّ نجد أنها أستغرقت موضوعات شتى (كلامية وفلسفية وفقهية ومنطقية) وهى جديرة بالدراسة . ومن المعلوم ان الفلسفة الإسلامية فى معناها العام المتسع تمتد لتشمل النتاج الفكرى لأربع طوائف :

- علماء أصول الفقه.

A treatise on the principles of Shiâh low and Jurisprudence compiled by Jamal El Din Hassan Abn - Yusuf Abn - Al Mutahar al Hilli.

مبادئ الشيعة وقوانيها وفقهها اكتمل بجمال الدين بن يوسف بن على بن المطهر الحلىَّ ، له كتاب فى الفقه يسمى تهذيب الوصول إلى علم الأصول ولعله هو نفس الكتاب الذى يحمل عنوان / نهاية الوصول إلى علم الأصول الذى نحن بصدده ، ويقول فى أوله : الحمد الله رافع درجات العارفين إلى ذروة العلاء ومهبط منازل الجاهلين .. إلخ وينتهى المخطوط بـ فإنه قد بلغ الغاية وتجاوز النهاية والله الموفق للصدق والصواب (من مخطوط بمتحف سالار جنك – الهند – المكتبة الوطنية بباريس رقم ١/١٠٣١(ج٤ ص١٠٣).

Mf. 1-317- Bibliothéque national de France.

وله أيضاً كتاب بعنوان الاسرار الخفية Al-Asraral Khafiyah للعلامَّة الحلىَّ

A work on philosophy compled by Jamal El - Din Hussan Abn Yusuf ….
(The work mithlogic, physics and Metaphiysices …)

هذا الكتاب للعلامَّة جمال الدين الحلىَّ فى الفلسفة الكاملة وقد أجمع مستشرقى فرنسا المهتمين بالتراث العربى والنصوص التاريخية إن العلامَّة الحلىَّ إنتقل من العلوم المنطقية طالباً العلوم الطبيعية ، ولعلهم تأثروا بما جاء فى كتاب الأسرار الخفية من ميثولوجيا وطبيعة وميتافيزيقا ، ولعل العلامَّة الحلىَّ هنا تأثر فى فترة من الفترات بتأثيرات فلاسفة الإسماعيلية الذين هم بدورهم تأثروا بفلاسفة اليونان والفيثاغوريين (أصحاب تقديس الأعداد والأرقام والرموز والطلاسم) – أنظر فى ذلك : كتالوج نماذج المخطوطات العربية بمكتبة الكوليج دى فرانس بباريس ، والمركز الوطنى للبحث العلمى.

- Catalogue Arabe Manuscrits – College de France – Paris - P. 128, CF.Centre national de la recherche scientifique, Section arabe – Paris.

وحيث يوجد فرع لدراسة المخطوطات العربية .

- المتكلمين .
- الصوفية .
- والفلاسفة[1] .

وغاية علم أصول الفقه هو توضيح كيفية إستنباط أحكام الإسلام فى موضوعات الفقه كمسائل العبادات من صلاة وزكاه وحج وماشابه ذلك ومسائل المعاملات كأحكام الزواج والمواريث والعقوبات كالزنا والسرقة وشرب الخمر .. إلخ .

فنجد العلامَّة الحلىَّ فى كتابه كشف الحق ونهج الصدق يذكر رأيه فى كلام الله تعالى قائلاً : " لاشك فى ان الله سبحانه وتعالى متكلم بمعنى أنه أوجد حروفاً وأصواتاً مسموعة قائمة بالأجسام كما كلم سيدنا موسى (عليه السلام) من الشجرة فأوجد فيها الأصوات والحروف .. " ، وأن الأشاعرة فيما ذهبوا إليه خالفوا عقولهم وعقول سائر البشر وأثبتوا له كلاماً لايفهمونه هم ولاغيرهم والعقل والسمع يتطابقان على ان كلامه مُحدث ليس بأزلى لانه مركب من الحروف والأصوات .."[1] .

---

[1] د. عبد الفتاح فؤاد : بحث بعنوان : عاطف العراقى فيلسوفاً– الكتاب التذكارى – تصدير د. فؤاد زكريا – دار دنيا الوفاء للطباعة – اسكندرية ٢٠٠٢م – ص١٨٨.

[1] هاشم معروف الحسينى : أصول التشيع – ص٧٦ – نقلاً من كشف الحق ونهج الصدق للعلامَّة الحلىَّ أنظر ايضاً: العلامَّة الحلىَّ كشف المراد فى شرح تجريد الإعتقاد ص١٧٨ – قد أفاض العلامَّة الحلىَّ فى المسألة السادسة .. فى أنه تعالى متكلم .

أما عن **التوحيد** فهو فى منهاج الكرامة يربط الإمامة بالعقائد كأصل من أصولهم (كشيعة متأخرين) ، ومن المعلوم أن أغلب مؤلفات الحلىَّ أستغرقت موضوعات كلامية جديرة بالدراسة ، ونجده فى كشف المراد يعرض مسائل كلامية عديدة ومن أمثلة ذلك فى المسألة الثانية من شرحه للتجريد يتحدث العلامَّة الحلىَّ عن نفى الشريك كأصل للتوحيد ونفى المثل والتركيب والضد عنه تعالى ، وفى ذلك نجد النص التالى : " ... ان الله تعالى واحد وان وجوب الوجود يدل على نفى الزائد والشريك ، وان أكثر العقلاء أتفقوا على أنه تعالى واحد ، والدليل على ذلك النقل والعقل : **أما العقل** : فما تقدم من وجوب وجوده تعالى وهو إنتفاء الشركة ، والأول يستلزم التركيب وهو باطل وإلاَّ لكان كل واحد منهما ممكناً وقد فرضناه واجباً ، و**أما النقل** فظاهر.."[٢] ، وذلك من خلال نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التى تدل على الوحدانية ونفى الشريك وهى عديدة .

ولقد أفرد العلامَّة الحلىَّ فى مؤلفاته مسائل كلامية عديدة متتبعاً عقائد الشيعة الإثنى عشرية فى فترة متأخرة فتحدث عن الصفات[١] ، وتكلم فى الرؤية وأفعال الله تعالى وأفعال العباد والإمامة ، وفى إثبات الحسن والقبح العقليين ثم عرض لبقية الأصول الخمسة للمعتزلة مما يؤكد أن هناك نزعة إعتزالية لدى العلامَّة الحلىَّ ؛ مما حدا بعالم السلف الكبير إبن تيمية ان ينبرى للرد عليه فى

---

[2] ابن المطهر الحلىَّ : كشف المراد فى شرح تجريد الإعتقاد – مخطوط بدار الكتب المصرية – نسخة تحت رقم ٢١٢٠٩ ونسخة بلدية الاسكندرية تحت رقم ٣٠٠٨ /٦٠٦٤ علم التوحيد.

[1] للمزيد من التفصيلات عن علاقة العلامَّة الحلىَّ بالمعتزلة ومسألة الكلام فى الصفات راجع د. على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام – دار المعارف مصر – ص٢٧٠/٢٧٢

كل هذه المسائل الكلامية ؛ ومن المعلوم أيضاً ان ابن تيمية فى أثناء رده على العلامَّة الحلىَّ كان يعرض لآراءه فى كتابه منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة ويذكر عن أحد أقطاب الصوفية انه قال فى التوحيد إنه على ثلاثة أوجه :-

<u>الأول:</u> توحيد العامة الذى يصح به الشواهد:

فهو شهادة أن لا إله إلاَّ الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وهذا هو التوحيد الظاهر الجلى ، الخالص النقى ، والذى يتفى الشريك ويحارب الشرك الأعظم ، وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال وأنفصلت دار الإسلام عن دار الكفر وصحت به الملة للعامة ، وان لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد ان يسلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحتها قبول القلب ، وهذا توحيد العامة الذى يصح بالشواهد.

<u>والثانى:</u> توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق ، فهو توحيد الخاصة وهو أيضاً إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد ، وهو ان لايشهد فى التوحيد دليلاً ولا فى التوكل سبباً ولا فى النجاة وسيلة ، فيكون مشاهد الحق أسبق بحكمة وعلمه ووضعه الأشياء مواضيعها ، وتعليقه أياها بآحايينها (اوقاتها) وإخفاءه آياها فى رسومها ، ويحقق معرفة العلل ويسلك سبيل إسقاط الحدوث ، وهذا هو توحيد الخاصة الذى يصح بعلمه الفناء .

أما **<u>التوحيد الثالث</u>** : فهو توحيد القائم بالقدم ، وهو توحيد خاصة الخاصة وأختصه الحق لنفسه ، واستحق بقدره وألاح منه لائحاً إلى شرار طائفة

من صفوته وأخرسهم عن نعمته وأعجزهم عن بثه ، والذى يشار إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدوث وإثبات القدم .

ومن هنا يمكن لنا القول إن الصورة النهائية التى إنتهت إليها عقائد الشيعة تتخللها كثير من أفكار المعتزلة وأصولهم ، والدليل على ذلك ان متأخرى متكلميهم ومنهم العلامَّة الحلىَّ قد حددوا أصولهم على أنها : التوحيد – العدل – النبوة – الإمامة – المعاد ، فهم يشتركون مع المعتزلة فى أصلين فضلاً عن تسرب أفكار أخرى للمعتزلة إلى عقائد الشيعة الإثنى عشرية وهى تمثل إحدى صور علم الكلام الشيعى لاسيما نظرية اللطف الإلهى فى صياغة العقائد الشيعية إذ يصبح نصب الإمام لطفاً من الله تعالى[1] والإمامة عند الشيعة الإمامية من أصول الدين خلافاً للمعتزلة وأهل السُنة وفى المرحلة التى تحدثت عنها (مرحلة الإمتزاج) تم تأليف أمهات كتبهم التى تحمل أصول معتقداتهم فى الحديث والفقه والكلام وبالذات فى فترة نصير الدين الطوسى والمفيد بن النعمان ثم ابن المطهر الحلىَّ موضوع الفصل.

ثالثاً: ابن المطهر الحلىَّ بين الكلام والأصول :

سنتناول فى هذه الجزئية عرض تحليلى نقدى لما جاء فى كتاب العلامَّة الحلىَّ : نهاية الوصول إلى علم الأصول ؛ هذا الكتاب – الذى لم ينتبه إليه أحد ولم يتناوله أحد بالدراسة من قبل وهو مازال مخطوطاً وسنعرض عما قريب

---

[1] د. أحمد صبحى : نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى – ١٩٦٩ – ص٣٦١/٣٦٣.

لوصفه ، ولنرى إلى أى مدى إمتزج عنده علم الأصول مع علم الكلام مع المنطق أحياناً وربط علم اللغة بالمنطق والنحو أحياناً أخر وهو كتاب من الكتب القيمة والذى يحتاج فى تحقيقه إلى فريق عمل ليظهر إلى النور. ويبدأ الكتاب بالبسملة ومقدمة عامة ، وبعد ذلك يوضح العلامَّة الحلىَّ تشريف الله تعالى للإنسان على غيره من المخلوقات وفضله على جميع الموجودات وأوجب على الإنسان الإمتثال للأوامر الإلهية وإجتناب المعاصى وحظر عليه إرتكاب الزواجر وحث على النظر والإعتبار وإستعمال قوى الأذهان والأفكار . والكتاب ايضاً يبحث عن علم أصول الفقه ورسمه المؤلف باسم نهاية الوصول إلى علم الأصول ، أجاب فيه على أسئلة طلبها ابنه العزيز (محمد) وقد تبين المطلوب على مقاصد عدة وفصول ومباحث ومسائل مرتبة يجمع فيه كل ما ذكره المتقدمون من الفقهاء والمتكلمون وكان على النحو التالى:-

المقصد الأول : فى المقدمات وفيه فصول

الفصل الأول : فى ماهية هذا العلم : يقول الحلىَّ : " يجب على كل طالب أن يكون متصوراًله أما إجمالاً أو تفصيلاً ، ولما كان أصول الفقه مركباً ، ومعرفة المركب مسبوق بمعرفة الأجزاء لا من كل وجه ، بل من الوجه الذى من أجله وقع فيه التركيب وجب معرفة هذين المفردين[1] (المركب والمجزأ).

[1] الحلىَّ : نهاية الوصول إلى علم الأصول .. مخطوط بدار الكتب المصرية – تحت رقم ٧٣٣٨ – ص١

- **والفقه لغة** : الفهم وهو العلم وقيل بالمغايرة ، فإن الفهم جوده الذهن من حيث استعداده لاكتساب المطالب وان كان المتصف به جاهلاً كالعامى الفطن .

- **والفقه إصطلاحاً**: العلم بالأحكام والشريعة العملية المستدل على اعيانها بحيث لايعلم كونها من الدين ضرورة ، فالعلم جنس . وقام الحلىَّ بتحليل مقولة " الأحكام الشرعية " موضحاً إن الأحكام هى الذوات والصفات (الذات والصفات) الحقيقية ؛ والشرعية هى الأحكام العقلية كالتماثل والإختلاف والحسن والقبح .

ويؤكد الحلىَّ أن أكثر الفقهاء لايحيطون بجميع الأحكام ، وقد سُئل مالك ابن أنس عن أربعين مسألة فقال فى ست وثلاثين منها لا أدرى[٢]، ومن قال لا أدرى فقد أفتى ، والفتوى بغير علم جهل ، ويفرق الحلىَّ بين المقلد العامى والفقيه ، وكل من كان من الدين ضرورة كالعلم بأصول العبادات والعلم بوجوب الصلاة والزكاة والصوم فإنها لاتسمى فقهاً لانها معلومة من الدين ضرورة .

الفصل الثانى : فى غاية وبيان موضوع علم أصول الفقه :

وفيه يقول العلامَّة الحلىَّ : " أعلم انه قد يراد الشئ لذاته فيكون غايته هى ذاته وقد يراد لغيره فغايته ذلك الغير ، ثم ذلك الغير يراد لثالث وهكذا ...."[١] إلى ان ينتهى إلى المراد لذاته .

---

[2] المصدر السابق : ص٢.

[1] المصدر السابق : نفس الصفحة.

ولما كان الغرض من الفقه نيل السعادة الأخروية ، والخلاص من العقاب بسبب أمتثال أوامره تعالى وأجتناب نواهيه كان ذلك غاية فى علم الفقه ، وعلم الفقه أدخل فى الغاية السعادة والخلاص عن الشقاوة .. واعلم أن كل علم لابد له من موضوع (علم أصول الفقه) باحثاً عن الأحوال العارضه (فى كل زمان ومكان) للأدلة الموصلة إلى الأحكام الشرعية وأقسامها ، وكيفية إستنباط الأحكام منها على سبيل الإجمال كالعموم والخصوص والأوامر والنواهى والنسخ والمجمل وغير ذلك من العوارض الذاتية للأدلة الموصلة إلى الأحكام الشرعية .. كان موضوع هذا العلم هو الأدلة الخاصة من تلك الحيثية[٢].

الفصل الثالث : فى ميادين علم الفقه :

وهنا نجد العلامَّة الحلىَّ يقرر ان كل علم لابد له من مسائل يبحث عنها وله مبادئه وميادينه ، وقسم ميادين هذا العلم إلى قسمين :-

القسم الأول : التصورات

القسم الثانى : التصديقات

وما نلحظه انه متأثر بالمنطق الصورى الأرسطى فبهذا التقسيم[**]، فالميادين التصورية هى الحدود وهى أما حد الموضوع أو حد أجزائه أو حدود اعراضه

---

[2] المصدر السابق : ص٣.

[**]وقد قسم المناطقة العرب المباحث المنطقية إلى نوعين : التصورات والتصديقات ، والمقصود بالتصور إدراك معنى مفرد مثل تصورى للإنسان أو الناطق أو الضاحك ، ويتم الوصول إليه

الذاتيـة ، أمـا المبـادئ التصـورية فـى المقدمات التـى يتوقـف عليهـا ذلـك العلـم ، وهى مسائل من علم آخر ، أو معلومة بالضرورة ، فالمبادئ التصورية هنا هى معرفة الأحكام الشرعية وأما المبادئ التصديقية لـه فمن الكلام ، والعربيـة (كلغة) أمـا الكـلام فـلان هـذا العلـم باحـث عـن طـرق الأحكـام الشـرعية فيتوقـف علـى وجودها المتوقف علـى المعرفـة { معرفـة الخيـر والشـر ومعرفـة النبـى (ﷺ) ومـا يجوز عليه تعالى وما لايجوز } وأما العربية فلان الأدلة عربية لاستناد أكثرها إلى الكتاب والسنة .

الفصل الرابع : فى مرتبته ونسبته إلى غيره من العلوم :

ومن العلوم منها ماهو دينى ومنها ما ليس بدينى كالحساب والهندسة والطـب وغيـر ذلـك ، ويـذكر الحلـىَّ أن الغـرض متعلـق بـالأول كـالكلام (علـم الكـلام) والفقـه والأصـول ومعرفـة الحـديث والتفسـير ، وهـذه العلـوم الدينيـة منهـا علوم كلية ومنها علوم جزئية .

أ- **العلوم الكليـة** : وهو الكلام لاغير فإن الباحث عن الوجود الذى هو الأعم من كل موضوع فهو كلى بالنسبة إلى كل علم فإنه يقسم الموجودات إلى

بالتعريف .. أما التصديق فهو إدارك للعلاقة الناشئة عن إرتباط تصورين بحيث يمكن وصف هذا الإرتباط بالإيجاب أو السلب ، بالصدق أو الكذب .. وهكذا .. (يراجع فى ذلك : نيقولا ريشر – تطور المنطق العربى – ترجمة د. محمد مهران). وإذا كان التصديق يقتضى تصوراً إلا إن التصور قد يكون بذاته دون أن يرتبط بتصور أخر ليشكل تصديقاً ، وقد إنتقل هذا التقسيم المشهور من خلال ابن رشد إلى الفلاسفة اللاتينيين ، ويذكر توما الأكوينى Thomas d'Aquin (١٢٢٥/١٢٧٤م) – إن العملية العقلية الأولى عند العرب هى التصور ، والعملية العقلية الثانية هى التصديق وهذا ما أكده ألبير الكبير Albert le Grand (١٢٠٦/١٢٨٠م).

قديم ومحدث ، ويقسم المحدث إلى جوهر وعرض ثم يقسم العرض إلى ما يفتقر إلى الحياة وإلى ما ليس كذلك . ثم ينظر فى القديم فيثبت وحدته وعدم تكثره ونفى القسمة عنه ، وما يجوز عليه ويستحيل وأفعاله والألطاف والتكاليف والأعراض ، وثبت الرسل(عليهم السلام) وصدقهم وعصمتهم(عصمة الأنبياء) والأئمة عليهم السلام والمعاد ، وهنا ينقطع البحث فى الكلام[1].

ب- **العلوم الجزئية** : كالفقه الناظر فيه صاحبه فى أحكام أفعال المكلفين خاصة ، والأصول الباحثة عن أحكام الأدلة الشرعية خاصة ، والتفسير الذى يبحث عن معان الكتاب خاصة ، وعلم الحديث الباحث عن طريق الحديث خاصة ، وفى علم الكلام لبيان ميادين العلوم الجزئية ، فيأخذ المفسر ما من جملة ما نظر فيه واحداً خاصاً وهو الكتاب ، فينظر فيه ويأخذ للحدث واحداً خاصاً ، وهو السُنة ، ويأخذ الفقيه واحداً خاصاً وهو فعل المُكلف فينظر فى نسبته إلى خطاب الشرع من حيث الأحكام الخمسة ، ويأخذ الأصول واحداً خاصاً وهو قول الرسول (ﷺ) الذى يبرهن المتكلم على صدقه فينظر فيه من حيث دلالته على الأحكام الخمسة ، أما من جهة المنطوق أو المفهوم أو فعله تعالى ، ومدار بحث الأصول قول الرسول (ﷺ) وفعله فإن الكتاب إنما سمعه منه والإجماع يثبت بقوله وقول الرسول (ﷺ) إنما يثبت كونه حجة فى علم الكلام . وفى معرض تعريف العلامَّة الحلىَّ لعلم الكلام يشرع فى القول بإن علم الكلام هو العلم الأعلى ، وفيه ينزل الباحث إلى

---

[1] الحلىَّ : نهاية الوصول ... ص ٣.

العلوم الدينية وعلم الكلام شرط فى كون العالم عالماً بالعلوم الدينية أذ مبادئها فيه تؤخذ وليس شرطاً فى كون الأصولى أصولياً ، أو كان الفقيه أو المفسر أو المحدث فقيهاً أو مفسراً أو مُحدثاً فإن الفقيه إنما ينظر فى نسبة فعل المكلف إلى خطاب الشرع وأمره ونهيه ولايجب عليه الرد على المخبر وإثبات الأفعال الإختيارية للمكلف ولاوجود الأعراض ، فقد شك قوم فى وجودها ، والفعل عرض ولإقامة البرهان على ثبوت خطاب الشرع وكيفية كلامه بل يأخذ جميع ذلك مُسلماً فى علم مُقلداً فيه ، وكذا الأصول بتقلد من المتكلم صدق الرسول (ﷺ) وان قوله حجة .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

أ – **(من مؤلفات المقريزى المخطوطة)**

١– التجريد فى علم التوحيد – مخطوط ميكروفيلم بالمعهد العربى للمخطوطات – القاهرة – رقم ٦٢ – علم الكلام.

٢– تجريد التوحيد المفيد – مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة المركزية رقم ٢٣٢٠١ وتوجد نسخة أخرى مصورة ميكروفيلم تحت رقم ١١/١٦٢٤٩ – علم الكلام.

٣– البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد – مخطوط بالمعهد العربى للمخطوطات – القاهرة – تحت رقم ٥٣ – تصوف.

٤– حصول الأنعام والميّر بسؤال خاتمة الخير – مخطوط رقم ١٢/٢٦٢٤٧ – توحيد.

ب– من مؤلفات المقريزى المطبوعة والمحققة :

٥– المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية – ٤ أجزاء – طبعة بولاق – مصر – الطبعة الأولى – ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

٦- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا – تحقيق د. جمال الذين الشيال ، د.محمد مصطفى زيادة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٤٨م.

٧- النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم – تحقيق د. حسين مؤنس – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى – ١٩٨٤م.

٨- إغاثة الأمة بكشف الغمة – تحقيق ياسر سيد صالحين – نشر مكتبة الآداب – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٩م.

٩- معرفة ما يجب لأهل البيت من الحق على من عاداهم – تحقيق د. محمد أحمد عاشور – دار الإعتصام – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٩٧٣م.

١٠-إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع – تحقيق د. محمود محمد شاكر – دار البيان العربى – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٨٤م.

ثانياً : المراجع العربية(*) { تراثية وحديثة }

١١- **الأسفراييني(ابو المظفر ت ٤٧١هـ)**: التبصير فى الدين وبيان الفرق الناجية عن الفرق الهالكة – تحقيق الشيخ زاهد الكوثرى – مطبعة الأنوار– الطبعة الأولى– القاهرة –١٩٤٢م.

١٢-الأشعرى : (أبو الحسن على بن إسماعيل ت. ٣٣٠هـ): مقالات الإسلاميين وإختلاف المصليين –جزءان فى مجلد واحد – بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٩٦٩م.

١٣- ---------- : الإبانة عن أصول الديانة –جزءان فى مجلد واحد بتحقيق وتقديم وتعليق د. فوقية حسين محمود – دار الأنصار – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٧م.

١٤- الإيجى (عضد الدين عبد الرحمن ت٧٥٦هـ): المواقف فى علم الكلام – مكتبة المثنى – القاهرة – ب.ت.

(*) روعى فى ثبت المراجع الترتيب الهجائى مع إسقاط ابن ، ابو ، ابى ، ابا ، وال التعريف مع أسبقية اللقب أحياناً.

١٥- البخارى (الامام ابو عبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ): صحيح البخارى – ٩ أجزاء– المطبعة العثمانية المصرية– الطبعة الأولى – ١٣١٤هـ.
١٦- ابن تغرى بردى (جمال الدين ابى المحاسن ت ٨٧٤هـ): المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى– تحقيق د. محمد محمد أمين و د. سعيد عبد الفتاح عاشور– الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة –الطبعة الأولى– ١٩٨٤م.
١٧- ابن تيمية (الإمام تقى الدين أحمد عبد الحليم ت ٧٢٨هـ): منهاج أهل السُنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية– ج١– تحقيق د. محمد رشاد سالم – القاهرة – طبعة ١٩٦٤م.
١٨- ----------: مجموع فتاوى شيخ الإسلام – ج٣ – جمع أمين قاسم – نشر السعودية – الطبعة الأولى – ١٩٨٥م.
١٩- الجرجانى (السيد الشريف على ابن الحسن ت ٨١٦هـ): التعريفات – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٣٨م.
٢٠- أبو ريان (د. محمد على) : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية – الطبعة الرابعة – ١٩٨٠م.
٢١- أبا زيد (د. صابر عبده) :منهاج أهل السُنة فى الرد على الشيعة والقدرية (عرض تحليلى نقدى) – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – إسكندرية –الطبعة الأول– ٢٠٠٠م.
٢٢- السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – طبعة القاهرة – ١٣٥٤هـ.
٢٣- الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت٥٦٨هـ): الملل والنحل بهامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل لأبن حزم – المطبعة الأدبية – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٣٢٠هـ.
٢٤- ظهير (إحسان إلهى) : الشيعة وأهل البيت – نشر إدارة ترجمان السُنة – لاهور – باكستان – الطبعة الأولى – ١٩٨٤م.

٢٥- عاشور(د. سعيد عبد الفتاح) : أضواء جديدة على المؤرخ أحمد بن على المقريزى وكتاباته – مجلة عالم الفكر – المجلد الرابع عشر – العدد الثانى – الكويت – يوليو/سبتمبر – ١٩٨٣م. .

٢٦- عبده (الإمام محمد عبده) : تفسير جزء عم – مطبعة المنار – الطبعة الثانية – ١٩٢٦م.

٢٧- عبد الباقى (محمد فؤاد) : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨١م.

٢٨- العسقلانى(أحمد بن على بن حجر ت ٨٥٢هـ): فتح البارى بشرح صحيح البخارى – مراجعة وتقديم – طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة القاهرة – خمسة أجزاء – ١٩٧٨م.

٢٩- ----------: أبناء الغمر بأنباء العمر – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية – ب.ت

٣٠- عنان (د. محمد عبد الله) : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى – مؤسسة مختار للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨١م.

٣١- الغزالى (الإمام أبو حامد بن محمد الطوسى ت٥٠٥هـ): كتاب الأقتصاد فى الإعتقاد – نشر دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٣م.

٣٢- الغطاء (محمد حسين آل كاشف) : أصل الشيعة وأصولها–مطبعة الإعتماد الطبعة الثانية – بغداد – ١٩٤٤م.

٣٣- القاضى (د. النعمان) : الفرق الإسلامية فى الشعر الأموى- دار المعارف بمصر– الطبعة الأولى – ١٩٧٠م.

٣٤- ابن المرتضى (الإمام أبو محمد بن أحمد): المنية والأمل – حيدرآباد الدكن – الهند – الطبعة الأولى – ١٣٢١م.

٣٥- النشار (د. على سامى): نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ج١ – دار المعارف – إسكندرية – الطبعة الثانية – ١٩٨١م – والجزء الثانى – طبعة ١٩٦٥م.

٣٦- الهمدانى (القاضى أبى الحسن عبد الجبار ت ٤١٥هـ): المُغنى – فى أبواب التوحيد والعدل – عدة أجزاء – مشتملة عدة قضايا كلامية مثل التعديل والتجوير والإمامة والرؤية واللطف والثواب والعقاب وكلام الله – بتحقيق نخبة من العلماء –

مراجعة د. مدكور ، د. طه حسين – نشر المؤسسة العامة للكتاب للتأليف والتوزيع والنشر – الطبعة الأولى– ١٩٦٢م.

٣٧- ---------- : شرح الأصول الخمسة–بتحقيق د.عبد الكريم عثمان– نشر مكتبة النهضة – القاهرة– الطبعة الأولى– ١٩٦٥م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

1- Lalande (A.): Vocabulaire technique et critique de la philosophie, Art: (Fatelisme) et Art: (predestination) – Paris – 1947.

2- Macdonald (D.B) : Development of muslim teology jurisprudence and constitutional theory – New – York – 1926.

3- Montgemery (W.): Free will, predestination in early Islam – London – 1948.